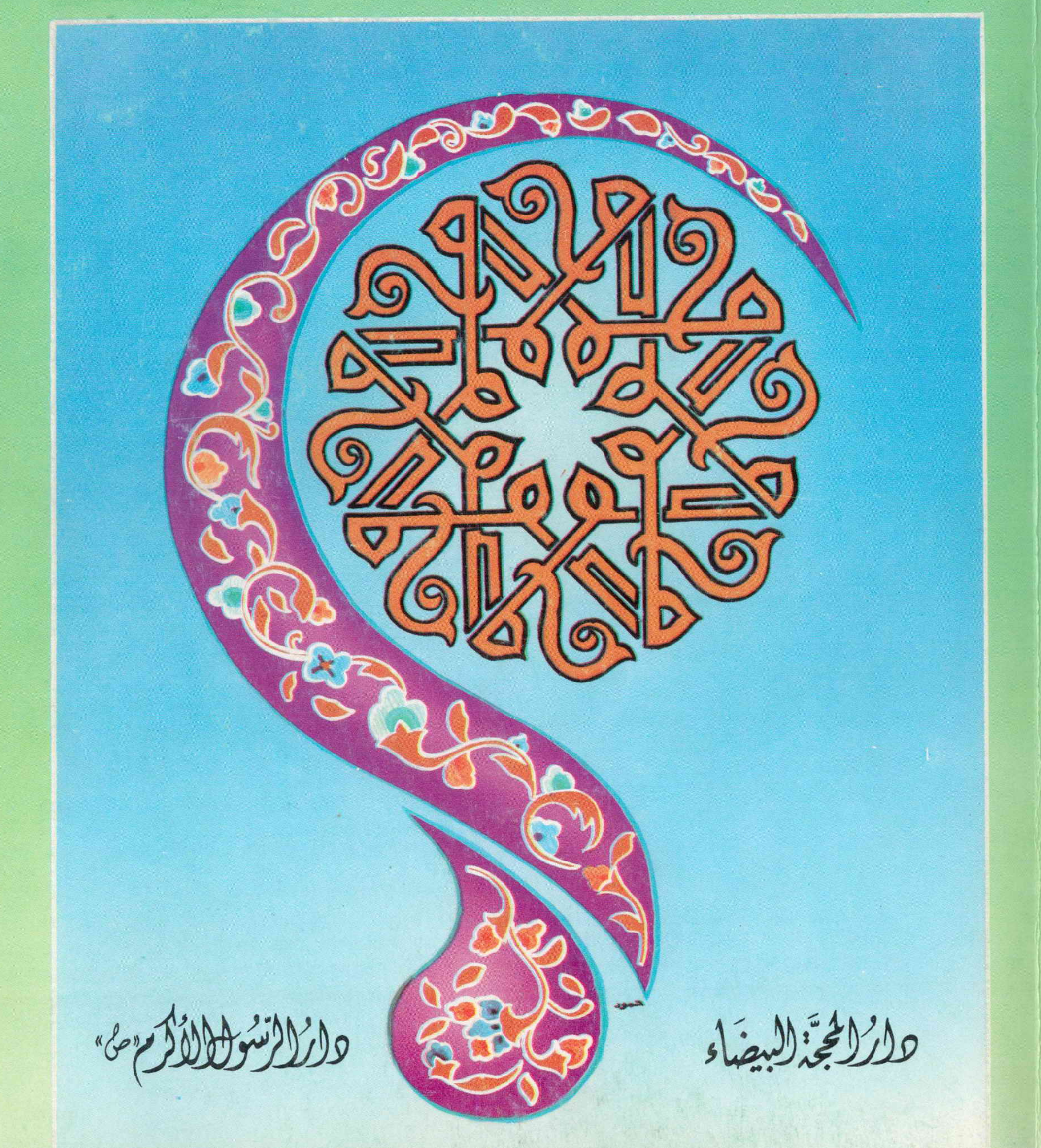
العلامة الشيخ محمد علي البرو العاملي

أين دفن رسول الإسلام

محمد بن عبد الله (ص)



دار المحجة البيضاء — دار الرسول الأكرم (ص)


شبكة الفكر
alfeker.net


أين دفن رسول الإسلام
محمد بن عبد الله

العلامة الشيخ محمد علي برو العاملي

أين دفن رسول الإسلام

محمد بن عبد الله (ص)

دراسة تحليلية عن مكان دفن النبي (ص)
وأنه دفن في حجرة فاطمة الزهراء
وقد كان للسياسة الدور الكبير في تحريف هذه الحقيقة

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير :

التاريخ هو مرآة الغابر ومحكمة الحاضر التي يقف الإنسان أمامها كي يتصفح ما في طياتها من حالات الأمم وحضارات الشعوب ويسبر من خلالها الويلات والحروب التي عصفت ببني الإنسان عبر التاريخ . وهذه المرآة وإن كانت تعكس لنا صوراً حية عن الحضارات والمجتمعات البشرية التي قامت على سطح المعمورة .

إلا أنها لم تكن صافية في حكاياتها عن الأحداث والحروب التي حلّت بالمجتمعات البشرية لأن الأهواء السياسية والتعصبات المذهبية والحزبية تدخلت في تحريف الكثير من الحقائق والأحداث التاريخية طبق الشهوات والأهواء الشخصية ومع هذا التحريف فإن بصيصاً من نور الحقيقة لا يزال يشع في زوايا التاريخ لينير الطريق أمام الباحث الذي ينشد الحقيقة .

وتاريخنا الإسلامي الذي يعتبر أدق تاريخ تملكه البشرية لتعرضه لكل شاردة وواردة مع ذلك لم يسلم من الأكاذيب والإسرائيليات التي أُدخلت إلى الإسلام على يد اليهود وعلماء السوء الذين كانوا يدعمون السلطة ويتعصبون لها وبذلك حرفوا تاريخنا الإسلامي ولعبوا به حسب أهوائهم وشهواتهم .

وقد استطاعت السلطة الحاكمة المعارضة لمدرسة أهل البيت طيلة أربعة عشر قرناً أن تصوغ التاريخ الإسلامي طبق سياستها وأهوائها فرفعت أناساً ووضعت آخرين واستحلّت الحرمات وسفكت الدماء باسم الإسلام وقد شوهت أيضاً الصورة الحقيقية لعظماء الإسلام الذين نزل الوحي في بيوتهم وقام الإسلام على سواعدهم ونسبت فضائلهم لغيرهم وحملتهم ما ارتكبه الآخرون .

نعم لقد صنعت السلطة الحاكمة من البغات[1] نسوراً وحملت القصّاص والمحدثين على وضع الأحاديث في فضل هؤلاء حتى غمرتهم بحلل التمجيد وجعلتهم المثل الأعلى في الزهد والتقوى والشجاعة ونزهتهم ورفعتهم فوق الأنبياء واتهمت النبي (ص) بأنه كان يستمع للباطل ويُغني ويُضرب بالدف بين يديه وأنه كان يسابق زوجته في بعض أسفاره[2] .

ولو كشف لنا الغطاء عن هذه الشخصيات لوجدنا أنها لا تملك شيئاً من هذه الفضائل التي منحتها لهم الدولة الأموية ـ التي كانت تنزع نزعة جاهلية كما يقول الدكتور أحمد أمين ـ[3] وذلك من أجل القضاء على مدرسة أهل البيت وفضائلهم ، وبنو أُمية كما نعلم هم الأعداء التقليديون لبني هاشم في الجاهلية والإسلام .

إن تاريخنا الإسلامي بحاجة إلى غربلة كاملة وتمحيص دقيق لإزاحة غبار التضليل والتحريف الذي لحق به نتيجة الأهواء السياسية التي لم تبق شيئاً إلا ولعبت به حتى حرفت كثيراً من الأحكام الشرعية فضلاً عن الأحداث

---

(١) مثل يقال للضعيف إذا قوي .

(٢) راجع صحيح الترمذي ٢/٢٩٣ ، مصنف عبد الرزاق ١٠/٤٦٥ ، مسند أحمد ٤/٣٥٣ـ ٦/٣٩ و٢٦٤ كنز العمال ١٤/٢٣٨ مجمع الزوائد ٩/٦٦، البداية والنهاية ١/١٣٦ ، الرياض النضرة ١/٢٠٩ ، إحياء علوم الدين ٢/٤٤ ، سنن أبي داود ٣/٣٠ حديث ٢٥٧٨ سنن ابن ماجه ١/٦٣٦ .

(٣) ضحى الإسلام ج ١/٢٧ .

التاريخية وهذا ما نجده في بطون الكتب وصرح به كبار الصحابة . فهذا الصحابي أنس بن مالك يبكي ـ وهو من المعروفين بولائهم للأمويين ـ لما أصاب دين النبي (ص) على يد الأمويين وغيرهم من التحريف .

وإليك أيها القارىء الكريم لمحة خاطفة عن هذه الحقيقة المؤلمة .

استولى الأمويون على السلطة وحملوا الناس على طاعتهم الدينية والدنيوية وجعلوا لأنفسهم جنة وناراً يدخلون الجنة من أطاعهم والنار من عصاهم وقد بدّلوا الدين وحرفوا الأحكام حتى قال الكميت :

وفي كل عام بدعة يحدثونها أزلوا بها أتباعهم ثم أوحلوا

وقد بلغ التحريف واللعب بالدين أوجه حتى لم يبق إلا القليل منه .

أخرج البخاري والترمذي عن أنس بن مالك أنه قال ما أعرف شيئاً مما كان على عهد رسول الله (ص) ، قيل الصلاة ؟ قال : أليس صنعتم ما صنعتم فيها[1] .

وقد أشار ابن كثير في البداية والنهاية إلى ما صنع بنو أمية بالصلاة فقد أخّروها عن وقتها إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فأرجع الصلاة إلى أول وقتها[2] ولم يكتف بنو أمية بهذا الحد ، بل قدموا الخطبة على صلاة العيد خلافاً للسنة لأن الناس كانوا يتفرقون بعد الصلاة حتى لا يسمعوا لعن الإمام «علي عليه السلام» فقدم الأمويون الخطبة على الصلاة حتى لا يتفرق الناس[3] . مع أن رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان كانوا يصلّون قبل الخطبة[4] .

---

(١) صحيح البخاري ١٤١/١ ، صحيح الترمذي ٦٣٢/٤ ، راجع بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ٢١٩ .

(٢) البداية والنهاية ١٧٨/٩ ، فتح الباري ١٢/٢ . حياة الحيوان ٩٦/١ وقد نسب ذلك إلى سليمان بن عبد الملك نقلاً عن ابن خلكان .

(٣) المحلى لابن حزم ٨٥/٥ـ٨٦، الأم للشافعي ٢٠٨/١ .

(٤) صحيح البخاري ٢٣/٢ .

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد الخدري ، قال :

«خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي فجبذت بثوبه فجبذ فيّ فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له غيّرتم والله فقال يا أبا سعيد قد ذهب ما تعلم فقلت ما أعلم والله خير مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[1] .

وروى الإمام الشافعي عن وهب بن كيسان قال : رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم قال كل سنن رسول الله (ص) قد غيّرت حتى الصلاة»[2] .

وكان أول من قدم الخطبة هو معاوية[3] .

وقال الزهري دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده يبكي قلت ما يبكيك ؟ قال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلّا هذه الصلاة وقد ضيعت[4] .

وقال : أنس أيضاً ما أعرف شيئاً كنت أعرفه على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله قلنا يا أبا حمزة فالصلاة قال : قد صليتم حين تغرب الشمس فكانت تلك صلاة رسول الله [5]؟ وكان أبو ذر يقول : لم يبقَ

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٢ صحيح مسلم ٣/٢٠، سنن أبي داود ١/١٧٨، سنن ابن ماجه ١/٣٨٦، سنن البيهقي ٣/٢٩٧، مسند أحمد ٣/١٠ـ ٢٠ـ ٥٢ـ ٥٤ـ ٩٢، مسند ابن أبي شيبة ٢/١٧١ .

(٢) الأم للشافعي ١/٢٠٩ .

(٣) المصدر السابق ١/٢٠٨ . مصنف ابن أبي شيبة ٢/١١٢ .

(٤) جامع بيان العلم ٢/٢٤٤ .

(٥) مسند علي بن الجعد حديث ٣١٩٥ مسند أبي يعلي ٦/٧٤ ح ٣٣٣٠ مسند أحمد ٣/٣٧٠ صحيح البخاري مواقيت الصلاة باب تضييع الصلاة عن وقتها سنن الترمذي صفة القيامة ٢٤٤٩ فتح الباري ٢/١٣ .

أصحاب محمد على ما عهد والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة رسول الله[1] .

لم يكن هذا البكاء على دين محمد (ص) من أنس بن مالك فحسب وإنما كان حتى من المعروفين بولائهم الأموي فهذا أبو الدرداء يغضب من تلاعب الأمويين بالدين فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء قالت دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب فقلت من أغضبك قال والله لا أعرف فيهم من أمر محمد (ص) شيئاً إلاّ أنهم يصلّون جميعاً[2] .

ولم يكن هذا الشعور والبكاء على الإسلام خاصاً بالصحابة وإنما كان شعوراً عاماً حتى في التابعين وغيرهم فهذا الحسن البصري يقول لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ما عرفوا منكم إلا قبلتكم[3] .

وهذا الإمام مالك أيضاً يروي في موطائه عن عمه عن جده مالك أنه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء للصلاة[4] .

قال السيوطي في شرحه للموطأ : عند شرح هذا الحديث قال : الباجي يريد الصحابة وإن الأذان باق على حاله لم يدخله تغير ولا تبدل بخلاف الصلاة فقد غيّرت وأخرت عن وقتها وهذا إشارة إلى ما فعله الأمويون من تأخير الصلاة عن وقتها انتهى . وكلام السيوطي ـ إن الأذان باق على حاله ـ غير صحيح لأن مالكاً روى في موطئه الذي شرحه السيوطي وفي نفس

---

(١) شرح النهج ٣/٥٣ـ٥٥ .

(٢) مسند أحمد ٦/٤٤٣ . أبو الدرداء هو من حملة العرش الأموي كان قاضياً لمعاوية على الشام طيلة حياته فلما حضرته الوفاة قال له معاوية من ترى لهذا الأمر قال فضالة بن عبيد فلما مات أرسل معاوية لفضالة فولاه القضاء. تاريخ أبي زرعة ١/١٩٩ حديث ١٤٣ .

(٣) جامع بيان العلم ٢/٢٤٤ .

(٤) الموطأ ١/٧١. مسند علي بن الجعد حديث ٣١٩ .

الصفحة في الحديث الذي قبله جاء فيه : إن الأذان غيّر عما كان عليه زمن الرسول وإن عمر أدخل فيه (الصلاة خير من النوم)[1] .

لم يكتف الحكام بتبديل وتحريف الأحكام فحسب بل عمدوا إلى تغيّر المشاعر الإسلامية والكعبة فصنع كل خليفة لنفسه كعبة ودعا الناس إلى الحج إليها مع أن أبرهة وسائر أئمة الكفر لم يستطيعوا أن يغيّروا الكعبة عن مكانها من زمن إبراهيم الخليل إلى ظهور نبينا (ص) ولكن حكام المسلمين باسم الإسلام لعبوا بالمسلمين والمشاعر الإسلامية .

فهذا عبد الملك بن مروان الخليفة الأُموي حينما استولى عبدالله بن الزبير على مكة أخذ يخطب الناس أيام منى وعرفة وينال من عبد الملك ومن بني مروان ويأخذ البيعة من الحجاج لنفسه . عند ذلك منع عبد الملك الناس من الخروج إلى مكة فضج الناس وقالوا تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن الرسول قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة وعلّق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم وأقام بذلك أيام بني أُمية[2] .

لم يكن هذا التلاعب بالمشاعر ومنع الناس من حج بيت الله الحرام خاصاً بالأُمويين بل هو سيرة الحكام المسلمين عبر التاريخ . فقد استغلوا الدين لخدمة مصالحهم ودعم عروشهم فإذا ما تعارض معها ضربوه عرض

---

(١) موطأ مالك ١/٧١، مصنف عبد الرزاق ١/٤٧٤ . كتاب المصنف لابن أبي شيبة ج ١/٢٠٨ قال جاء المؤذن عمر بصلاة الصبح فقال ـ الصلاة خير من النوم ـ فأعجب به عمر وقال للمؤذن أقرها في أذانك .

(٢) البداية والنهاية ٨/٢٨٠ . تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦١ .

الجدار وغيّروا حتى مكان الكعبة وسائر المشاعر .

فهذا الخليفة العباسي المتوكل يبني في سامراء كعبة (وجعل طوافاً واتخذ منى وعرفات حتى يحج إليها أمراء جيشه ولا يفارقوه)[١] .

وهذا التلاعب والتحريف لم يكن من ملوك بني أُمية وبني العباس بل الخلفاء لهم اليد الطولى في هذا المضمار وهذا ما كان يقلق راحة الإمام عليّ حتى خطب الناس في أول خلافته وصرح بهذه الحقيقة المرّة فقال : قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله (ص) متعمدين لخلافه ناقضين لعهده مغيّرين لسنّته ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله تفرق عني جندي حتى أبقى وحدي ، ثم عدّ الإمام الأشياء التي حرفت بعد الرسول إلى أن قال : لقد أمرت النّاس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي : يا أهل الإسلام غيّرت سنّة عمر ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري[٢] .

---

(١) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٢٢-١٢٣ .

(٢) روضة الكافي ص ٥٩، راجع أيضاً شرح النهج لعبد الحميد ج ١ ص ٢٦٩ ، وقد عدد الإمام ٢٧ مورداً غيّره الخلفاء وبدلوه عما كان في زمن رسول الله وقد أشار في خطبته التي أوردها الكليني في الروضة وأشرنا إليها ، إلى ما ابتدعه الخليفة الثاني من صلاة التراويح في شهر رمضان ولم تكن في زمن رسول الله ولا أبي بكر ولا زمناً من خلافته قبل أن يبتدعها .

أخرج البخاري في الصحيح عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون إلى أن قال: فقال عمر : إني لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، قال : ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلّون بصلاة قارئهم ، قال عمر نعمت البدعة هذه، صحيح البخاري كتاب صلاة التراويح ٣/٥٨، السيرة الحلبيه ١/١٨٣، النهاية لابن الأثير ٨/١٠٦، غريب الحديث لابن قتيبة ١/٦٠٥، الموطأ ١/١٠٥. راجع تاريخ المدينة لابن=

وقد نقل ابن أبي الحديد أن أمير المؤمنين (ع) لما اجتمعوا إليه في الكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان زجرهم وعرفهم أنه خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن عليه السلام فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا واعمراه[1] .

والصحابة كانوا يعرفون أن الإمام علي هو الوحيد الذي طبق الإسلام ولم ينحرف عنه قيد شعرة وقد أعاد في خلافته للإسلام غضارته ورونقه ، فذكّر الناس بسنّة الرسول وتعاليمه بعد أن مسخت على يد الحكام وأصبحت عند الناس نسياً منسياً فهذا عمار بن ياسر يقول : لو أن علياً لم يعمل عملاً ولم يصنع شيئاً إلا أنه أحيا التكبيرتين عند السجود لكان قد أصاب بذلك فضلاً عظيماً .

وقال مطرف بن عبدالله : صلّيت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب فكان إذا سجد كبّر وإذا رفع رأسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبّر فلما انصرفنا أخذ عمران بيديّ فقال : لقد صلى صلاة محمد ولقد ذكرني

=شيبه ٢/٧١٣-٧١٦ منتخب الكنز ٣/٣٢١٤ .

قال القسطلاني في شرح قول عمر: نعمت البدعة هذه، ما هذا لفظه: سمّاها بدعة لأن رسول الله لم يسن لهم ولا كانت في زمن الصديق ولا أول الليل ولا هذا العدد/ إرشاد الساري ٣/٤٢٦ .

وقال السيوطي نفس المعنى في شرح الموطأ ١/١٠٥، وهذا الكلام يطابق ما أخرجه الشيخان في صحيحهما من أن رسول الله (ص) قال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه وأنه حيّ توفي والأمر على ذلك رأى القيام في شهر رمضان لم يتغير عما كان عليه قبل وفاته ثم كان الأمر على ذلك في خلافة الصديق وصدراً من خلافة عمر صحيح البخاري ٣/٥٨ صحيح مسلم ١/٥٢٣، وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل على ما نقل عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء أن من أوليات عمر أنه أول من تسمى بأمير المؤمنين وسن القيام في شهر رمضان وحرم المتعة راجع النص والاجتهاد ص ٢١٣ .

(١) شرح نهج البلاغة ١٢/٢٨٣ .

صلاة محمد (ص)[1] .

وهذا دليل واضح على أن تعاليم الرسول الأعظم والأحكام كانت قد حرفت قبل الإمام (ع) . وقول عمار المتقدم فيه معنى عظيم حيث أن التكبير قبل الركوع كان له هذه الأهمية وما ذلك إلا لعظمة التحريف الذي أصاب الدين .

أيها القارىء الكريم :

هذا غيض من فيض وصورة مصغرة عن حقيقة التاريخ الإسلامي الذي تلاعبت فيه الأيدي والأهواء ، وإنما عرضت هذه الصورة العابرة لكي تكون وسيلة لفهم الأحداث التاريخية وفهم هذا الموضوع الذي وضعت هذه الدراسة المتواضعة من أجله ، وهو مسألة دفن النبي (ص) وفي أيّ حجرة من الحجر المحيطة بالمسجد دفن ؟

هل أنه دفن في حجرة عائشة كما يزعم فريق من المسلمين أم أنه دفن في بيت ابنته الزهراء كما يقول فريق آخر ؟

وهذا الكتاب يتكفل بالجواب على هذا السؤال ، ولا يخفى على القارىء الكريم أن هذا الموضوع له أهمية كبيرة في فهم التاريخ والعوامل السياسية الحاكمة في ذلك العصر ، وهذه المسألة سياسية أكثر مما هي تاريخية .

وسوف نسلك في هذا البحث طريقة تختلف عن طرق أصحاب الحديث من العنعنات فإنها لا تتعدى الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً

---

(١) أخرجه البخاري ٢/٢٠٩ ومسلم ١/٢٩٥ والنسائي في سننه ١/١٦٤ وأبو داود في سننه ٥/٨٤ وأحمد في مسنده ٤/٤٢٨- ٤٢٩- ٤٤٠ وابن ماجه في سننه ١/٢٩٤ ، فتح الباري ٢/٢٠٩ ، أنساب الأشراف ترجمة الإمام علي تحقيق المحمودي ص ١٧٩- ١٨٠ ، سنن البيهقي ٢/٦٨ ، كنز العمال ٨/١٤٣ . راجع الغدير ١٠/٢٠٢- ٢٠٣ فضائل الخمسة ١/٢٠٠ كتاب المصنف لابن أبي شيبة ج ١/٢٤١ .

وسوف أتخذ من موضع قبر النبي فعلاً محوراً لهذه الدراسة وأطبق عليه ما ورد من الآثار الصحيحة من مواقع حجرات نساءِ النبي في المسجد .

وبهذه الطريقة سوف يكون واقع قبر النبي ومكانه ألآن ميزاناً لتحقيق هذا الموضوع وبذلك تنكشف لنا الحجرة التي دفن فيها (ص) .

وقد تعرضت خلال هذا البحث لمسائل أخرى قد يظنها البعض خارجة عن موضوع هذا الكتاب والسر في ذلك أنّ الأحداث التاريخية ترتبط ببعضها البعض وخاصة إذا تقاربت تلك الأحداث ومن خلال هذا الإرتباط تتجلى الحقيقة أمام القارىء ، هذا بالإضافة إلى أن دراسة التاريخ لا ترتكز على النصوص فحسب بل تحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى ملكة يفقه بها الباحث الأحداث التاريخية ويقارن بينها . ولا أظن أن أحداً يستطيع كشف أية حقيقة تاريخية ما دام عبداً سجيناً بين أغلال النصوص التي لعبت بها الأهواء والشهوات عدة قرون بعد أن مرت أيضاً على الرقابة مئات المرات .

ادعاء عائشة

ولكي يكون بحث هذه المسألة أكاديمياً ، لا بد لي من عرض الأخبار الوارة في هذا الصدد ، وأول هذه الأخبار ما ادعته عائشة من أن النبي (ص) دفن في حجرتها ، فقد أخرج محمد بن سعد في طبقاته في ترجمة الإمام الحسن (ع) المخطوطة حديث ١٧٤ ما هذا نصه :

قال : أخبرنا محمد بن عمر حدثنا علي بن محمد العمري عن عيسى بن معمر عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال سمعت عائشة تقول يومئذ هذا الأمر لا يكون أبداً يدفن ببقيع الفرقد ولا يكون لهم رابعاً والله إنه بيتي أعطانيه رسول الله في حياته وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري وما أثر علي رحمه الله عندنا بحسن[١] .

---

(١) طبقات ابن سعد ترجمة الإمام الحسن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث في اسطنبول =

وهذا الحديث يحمل في طياته دعويين :

الأولى أن النبي (ص) دفن في بيت عائشة .

الثانية أن النبي ملّك عائشة ذلك البيت في حال حياته وقد كان للسياسة اليد الطولى في دعم أم المؤمنين فيما ادعت ، إلا أن السبر التاريخي لا يقرّ بهذه الإدعاءات وهذا ما يحتاج إلى طرق هذا الموضوع من جميع أطرافه لمعرفة الحقيقة ، وبغضّ النظر عن الحديث المتقدم الذي ادعت فيه عائشة بأن النبي دفن في حجرتها وادعى ابن كثير عليه التواتر في البداية والنهاية[1] هذه الدعوى لم يروها أحد غير عائشة وهي أصل من روى هذه الواقعة وقد روتها عدة مرات وكل مرة تختلف عن الأخرى وإليك هذه الأحاديث .

الأول : أخرج البخاري عن عروة ومسلم عن طريق الزهري عن عائشة قالت : إن كان رسول الله ليعتذر في مرضه أين أنا اليوم أين أنا غداً استبطاً ليوم عائشة فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري ودفن في بيتي[2] .

الثاني : أخرج البخاري ، ومسلم ، وعبد الرازق ، وجمع من المحدثين والمؤرخين عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة : أول ما اشتكى رسول الله (ص) في بيت ميمونة فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فَأَذِنَ له قالت فخرج ويده على الفضل بن عباس ويده الأخرى على رجل آخر وهو يخطّ برجليه في الأرض فقال عبيدالله فحدثني به ابن عباس فقال أتدري

= تحت رقم ٨/٢٨٣٥ ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه في ترجمة الإمام الحسن تحقيق العلامة المحمودي ص ٢٢٣ ، والذهبي مختصراً في سير أعلام النبلاء ٣/١٨٥ ، ومخطوطة ابن سعد بيد أحد الأخوة المحققين وقد طلب مني التعليق على هذا الحديث فكان السبب في إخراج هذا الكتاب جزاه الله خيراً .

(١) البداية والنهاية ٥/٢٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ٢/١٢٨ و٧/٤٤ ، صحيح مسلم ١/٣١٣ ، الجمع بين الصحيحين للحميدي حديث ٨٣ ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص ٣٨٤ ، البداية والنهاية ٥/٢٢٥ .

من الرجل الذي لم تسم عائشة؟هو علي بن أبي طالب (ولكن عائشة لا تطيب له نفساً بخير)[1].

وهذا الحديث يخالف الأول لأن أُم المؤمنين ، زعمت في الأول أن النبي (ص) كان يدور في مرضه على نسائه ويسأل عن يوم عائشة إلى أن وصل يومها فانتقل إلى بيتها فتوفي فيه وفي الحديث الثاني قالت : بأن النبي (ص) أول ما اشتكى اشتكى في بيت ميمونة ثم استأذن فانتقل رأساً إلى بيت عائشة لا أنه انتظر حتى وصل دورها كما في الحديث الأول .

وهذان الحديثان يتعارضان مع ما أخرجه ابن سعد وغيره عن يزيد بن بانيوس عن عائشة .

الثالث : قال استأذنت أنا ورجل من أصحابي على عائشة فأذنت لنا فلما دخلنا جذبت الحجاب وألقت لنا وسادة فجلسنا عليها فقالت : كان رسول الله (ص) إذا مرّ ببابي يلقي إليّ الكلمة ينفع الله بها فمرّ ذات يوم فلم يقل شيئاً ثم مرّ ذات يوم فلم يقل شيئاً فقلت يا جارية ألقي لي وسادة على الباب فألقت لي وسادة فجلست عليها في طريقه وعصبت رأسي فمرّ بي رسول الله (ص) فقال : ما شأنك فقلت أشتكي رأسي فقال رسول الله : أنا وارأساه ثم مضى فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولاً في كساء فأدخل بيتي فأرسل إلى نسائه فاجتمعن عنده فقال إني أشتكي ولا أستطيع أن أدور بيوتكن فإن شئتن أذنتن لي فكنت في بيت عائشة فأذن له فكنت أوصبه ولم أوصب مريضاً قط قبله[2].

---

(١) صحيح البخاري ١/١٧٠، صحيح مسلم ١/٣١٢، مصنف عبد الرزاق ٥/٤٢٩، فتح الباري ٢/١٣١، البداية والنهاية ٥/٢٥٥، سيرة ابن هشام ٤/٢٩٢، طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢، تاريخ الطبري ٣/١٨٩، البدء والتاريخ ٥/٥٧، مسند أحمد ٦/٣٤، الجمع بين الصحيحين للحميدي حديث ٧٢ من مسند عائشة. المعرفة والتاريخ ٢/٧٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢-٢٣٣، البداية والنهاية ٥/٢٤١، وقد أخرجه أحمد في مسنده عن عروة ٦/١٤٤.

فالحديث الثالث يتنافى مع سابقيه تماماً حيث أنها قالت بأن النبي اشتكى لما رآها وذهب ورجع محمولاً إليها فلم يدخل بعد مرضه أي حجرة غير حجرة عائشة وإنما ذهب إليها رأساً وطلب من نسائه أن يأذنّ له بالبقاء عندها فأذنّ له مع أنها ادعت في الحديثين السابقين أنه أول ما اشتكى في بيت ميمونة وأنه كان يدور على نسائه حتى وصلت نوبة عائشة بينما ادعت في الثالث أنه جمع نسائه في حجرتها واستأذنهن في بقائه عندها .

الرابع : والحديث الثالث يتنافى أيضاً مع ما رواه ابن شهاب وعدة من أئمة الحديث والمؤرخين عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة .

قالت وجع النبي وأنا أقول وارأساه فقال بل أنا والله يا عائشة وارأساه قالت ثم قال : وددت أن ذلك يكون وأنا حيٌ فأصلّي عليك وأدفنك قالت قلت والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض النساء ، قالت قال : بل أنا وارأساه ثم رجع رسول الله (ص) إلى بيت ميمونة فاشتد وجعه[1] .

ووجه التنافي أنها في الحديث الثالث : تمارضت وجلست على طريق رسول الله حتى يتكلم معها بعد أن مر عليها عدة مرات ولم يعتن بها ، وفي الرابع : كانت مريضة واقعاً لا متمارضة .

فهذه الروايات تروي واقعة واحدة على لسان أُم المؤمنين بعدة صور مختلفة ومن هنا نجد أنها كانت تحدث كل جماعة بحديث مغاير لما حدثت به الآخرين مع أن الواقعة واحدة .

سبب اختلاف أحاديث عائشة

إن من أمعن النظر في أحاديث أُم المؤمنين هذه وحقق حياتها قبل وبعد حرب الجمل يجد إنها اتبعت أسلوباً خاصاً بعد أن فشلت في تلك الحرب

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٠٦ ، سيرة ابن هشام ٤/٢٩٢ ، الدرة الثمينة ص ٣٨٣ ، سنن الدارمي ١/٣٧ـ٣٨ ، سنن ابن ماجه ١/٤٧٠ ، تاريخ الطبري ٣/١٨٨ـ١٩٩ ، البداية والنهاية ٥/٢٢٤ . شرح نهج البلاغة ١٣/٢٧ـ٢٨ .

وانهزمت أمام الإمام علي تاركة وراءها آلاف القتلى والجرحى فبعد أن رمّلت النساء وهتكت الحرمات وقادت أول حرب داخلية بين المسلمين ضد خليفتهم وخرجت من بيتها على خلاف ما أمرها الله ورسوله وخالفت تعاليم زوجها . لهذا كرهها المسلمون ونبذتها القلوب وطالتها الألسن فعمدت إلى طريقة جديدة لتحكيم موقعها الاجتماعي وإعادة شخصيتها ودورها فأخذت تحدّث المسلمين بأحاديث عن رسول الله تظهر نفسها فيها أنها أحب الخلق إليه وأقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ولكي تؤكد هذا المعنى في أذهان المسلمين كانت تحدّثهم بما كانت تدعي أنه كان يجري بينها وبين النبي (ص) على الفراش من التقبيل والمغازلة ومص اللسان والشفاه وغير ذلك من الأمور التي تأبى كل امرأة مسلمة عن التحدث به وهذه الأخبار لم ترو عن نساء النبي غير عائشة[1] .

---

(١) راجع سنن ابن ماجه ١/١٩٩، مسند أحمد ٦/١٤١، تاريخ بغداد ٢/٢٣١، سنن البيهقي ١/١٤٤، سنن أبي داود ٢/٣١٢ حديث رقم ٢٣٨٦ وهذا نص الحديث في سنن أبي داود: حدثنا محمد بن عيسى حدثنا محمد بن دينار حدثنا سعد بن أوس العبدي عن مصدع أبي يحيى عن عائشة عن النبي (ص) كان يقبلها وهو صائم ويمص لسانها وأخرجه أحمد في مسنده أيضاً ٦/١٢٣-٢٣٤، والبيهقي في سننه ٤/٢٣٤.

وأخرج مسلم في باب وجوب الغسل بالتقاء الختانين عن عائشة قالت : إن رجلاً سأل رسول الله (ص) عن الرجل يجامع أهله ثم يُكسل هل عليهما الغسل وعائشة جالسة فقال رسول الله (ص) «إنني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل» فانظر أيها المسلم الغيور هل يرضى شرفك أن تحدث الناس بمجامعتك لزوجتك وإذا كان شرف وغيرة الفرد العادي يأبى عن الحديث عما يجري بينه وبين زوجته فكيف برسول الله الذي وصفه رب العزة بأنه على خلق عظيم والذي كان أشد حياءً من العذراء في خدرها كما أخرج البخاري ومسلم(*) فكيف نصدق عائشة بأن رسول الله كان يحدث العام والخاص بمجامعته لها وإن كانت غيرة بنت أبي بكر لا تأبى ذلك ومن هنا تعلم كم جنت هذه المرأة على رسول الله (ص) وحطت من كرامته من أجل تحكيم موقعها بين الناس وإرضاءً للسلطة الأموية التي دأبت على إطفاء=

(*) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ومسلم في كتاب الفضائل باب كثرة حيائه (ص) .

وقد استغلت أُم المؤمنين أيضاً قصة موت النبي (ص) ودفنه بعد حرب الجمل وذلك من أجل استرجاع شخصيتها وتحكيم موقعها الاجتماعي وممّا يدل على ذلك أنها لما خطبت الناس في البصرة وحرضتهم على حرب الإمام علي (ع) عدّدت فضائلها وفضائل أبيها فذكرت أن النبي (ص) مات بين سحرها ونحرها ولم تذكر أنه دفن في حجرتها مع أنه لو دفن في حجرتها لعدت ذلك من أعظم فضائلها وهي في أخطر المواقف وفي أشد الحاجة لمثل هذه الفضيلة لجمع الناس حولها ضد الإمام علي[1].

وقد لاحظ القارىء هذا المعنى في الأحاديث السابقة ويظهر هذا المعنى جلياً فيما أخرجه ابن سعد في طبقاته عن عائشة قالت: أعطيت خلالاً ما أعطيتها امرأة ملكني رسول الله (ص) وأنا بنت سبع سنين، وأتاه الملك بصورتي في كفه فنظر إليها، وبنى بي لتسع سنين، ورأيت جبرائيل ولم تراه امرأة غيري، كنت أحبّ نسائه إليه، وكان أبي أحبّ أصحابه إليه، ومرض رسول الله في بيتي فمرضته فقبض ولم يشهده غيري والملائكة[2].

ولم تكتف أُم المؤمنين بهذا المقدار من الفضائل حتى رفعت العدد فيه إلى عشرة، ففي حديث آخر لها عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة قالت: فضلت على نساء النبي بعشرة قيل ما هي يا أُم المؤمنين قالت: لم ينكح بكراً قط غيري ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري وأنزل الله براءتي

=ذكر رسول الله وجهزت جيشاً من الوضاعين لوضع الأحاديث التي تطعن برسول الله وتحط من كرامته ويكفي أن أحاديث عائشة أكثرها في الأمور الجنسية وإنما أكثرت من الأحاديث في هذا الموضوع حتى تبين للناس أنها المدللة عند رسول الله وحتى لا يستطيع أحد أن يكذبها لأنه لا يمكن لأحد الحضور في مثل هذه المواضع وهذه الأحاديث جديرة بالبحث والتحقيق ليتعرف الباحث على شخصية عائشة ومدى صحة أحاديثها.

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/٤٥٥-٤٥٦، الفائق للزمخشري ٢/١٦١. العقد الفريد ٤/١٢٨-١٢٩ بلاغات النساء لابن طيفور ص ٥-٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/٦٥.

من السماء وجاء جبرائيل بصورتي من السماء في حريرة وقال تزوجها فإنها امرأتك فكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري وكان يصلّي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري وكان ينزل الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري ومات في الليلة التي كان يدور عليّ فيها ودفن في بيتي (١).

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٦٣-٦٤، تاريخ الطبري ٢/٣٩٩، وهذا الحديث يخالف ما تقدم من أن النبي (ص) انتقل رأساً إلى حجرتها ويخالف ما قالته لأم سلمة من أن جبرائيل أكثر ما كان ينزل في حجرة أم سلمة التي رأته بصورة دحية الكلبي ومن أن عائشة كان لها شعبة من رسول الله (ص) ما نزلها منه أحد غيرها فلما تزوج بأمّ سلمة قيل له : ما فعلت الشعبة فسكت رسول الله (ص) فعلم أن أم سلمة قد نزلت عنده ويخالف قول عائشة أيضاً من أن أم سلمة كانت أجمل منها بكثير وكلامها هنا بأن الله أنزل براءتها في حديث الإفك هو خلاف الواقع لأن حديث الإفك في الواقع ورد في حق مارية القبطية أم إبراهيم وفي حديث «لعائشة اعترفت بأن أحب النساء إلى رسول الله زينب بنت جحش وأم سلمة راجع طبقات ابن سعد ٨/٩١- ٩٤- ١١٤ شرح ابن أبي الحديد ٦/٢١٧ فتوح أعثم ٢/٢٨٢ شذرات الذهب ١/٧٠ وفي الطبقات أن النبي لما بنى بأمّ سلمة سبع لها ولم يسبع لامرأة قبلها ولا يخفى على المحققين أن ما ورد عن عائشة من أن النبي (ص) عقد عليها وهي بنت ست سنين ودخل بها وهي بنت تسع ولم يتزوج بكراً غيرها وإن جبرائيل جاء بصورتها في حريرة وأنها كانت تلعب مع الصبيان فأتتها حاضنتها فأخذتها وأصلحتها وأخذت معها حجاباً فأدخلتها على رسول الله وأن رسول الله دخل عليها يوماً فوجدها تلعب مع البنات فقال ما هذا يا عائشة ؟ فقالت خيل سليمان فضحك إلى غير ذلك من الأحاديث التي لم ترد إلا عنها هذه الأخبار بعيدة عن الصحة وخلاف الواقع وهل يقبل عاقل بأن رسول الله تزوج بطفلة عمرها ست سنوات مع أن ذلك يتنافى مع عظمة النبي وقداسته فكيف يتزوج بطفلة لا تزال تلعب مع الصبيان كما قالت وماذا يكون موقفه من الناس وخاصةً من أعدائه وهل كان بحاجة إلى مثل هذا الزواج وهو فخر البشرية وسيد ولد آدم وقد أباح الله له من النساء ما لم يبحه لأحد من خلقه والعجب من العلماء الذين وضعوا هذه الأحاديث في كتبهم وهي تحط من مقام رسول الله وعظمته مع أن من نظر في هذه الأخبار يجد أنها متعارضة ومتناقضة لا تصمد أمام التحقيق لمنطق ولا ميزان . راجع طبقات ابن سعد =

ففي هذه الأحاديث لم تدع أُم المؤمنين أي فضيلة لها ولمن يلوذ بها فقد ادعت أنها كانت تشاهد جبرائيل كما يشاهده النبي (ص) دون العالمين وجاء الملك بصورتها وأنه مات في بيتها ولم يشهده أحد إلا هي والملائكة .

فهل يا ترى ارتدّ المسلمون حتى تركوا النبي وحده يعالج سكرات الموت وليس عنده إلاّ عائشة ؟ وأين ذهب بنو هاشم وأهل بيته ؟ وكيف نجمع بين قولها هذا وقولها في الصحيحين في حديث الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت اجتمع نساء رسول الله عنده لم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة لا تخطىء مشيتها مشية أبيها/ الحديث[1] .

ولم تكتف أُم المؤمنين بنثر درر الفضائل والشيم على أبيها فحسب وأنه أحبّ الصحابة إلى رسول الله (ص) بل أرادت أن تعمم عدالتها على سائر ذويها وخاصة أخيها عبد الرحمن ، ففي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن قاسم عن عائشة قالت دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي (ص) وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستنّ به فأبدّه رسول الله بصره فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيّبته ثم دفعته إلى النبي (ص) فأستنّ به فما رأيت رسول الله استنى استناناً قط أحسن منه فما عدا أن فرغ رسول الله (ص) رفع يده أو إصبعه ثم قال في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى . وكانت تقول مات ما بين حاقنتي وذاقنتي ، وزاد أحمد : (الحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من أيام الدنيا)[2] .

وفي هذا الحديث تكرمت أُم المؤمنين على أخيها عبد الرحمن بالدخول

=٥٨/٨ـ ٨٠، أسد الغابة ١٨٨/٧ـ ١٩٢. صحيح البخاري ١٣٢/٣ و٣٣٢/٢ و٦٨/٤ صحيح مسلم ١٣٦/٧ و١٩١/١ .

(١) البداية والنهاية ٢٢٦/٥ .

(٢) صحيح البخاري ١٣/٦ـ ٩٩/٤، مسند أحمد ٤٨/٦ ، طبقات ابن سعد ٢٣٢/٢ ، السيرة الحلبية ٣٥٢/٣. شرح نهج البلاغة ٣٥/١٣ دلائل النبوة للبيهقي ٢٠٦/٧ فتح الباري ١٤٤/٨ .

ليشهد معها احتضار النبي دون العالمين وذلك بعد أن أخذت منه السواك ورطبته وأعطته النبي حتى اختلط ريقها بريقه في آخر يوم من حياته (ص) .

كل هذه الأخبار والفضائل التي جاءت بها أُم المؤمنين لا شك فيها لأن مادح نفسه يقرؤك السلام ، وقد بحثت هذا الموضوع مفصلاً في كتابي عمر بن الخطاب بين الجاهلية والإسلام . الذي أوشك على الإتمام واكتفيت بالإشارة هنا حتى يطّلع القارىء الكريم على الحقائق التاريخية ويربط هذا الأمر بما سيأتي من تظاهر أُم المؤمنين على رسول الله (ص) بنص القرآن الكريم .

أحاديث أُم المؤمنين تخالف القرآن

لا يخفى على الباحث أن في الروايات المتقدمة مسألة هامّة وهي أن أُم المؤمنين ادعت أن النبي كان يقول أين أنا غداً استبطأً ليوم عائشة ، ومعنى هذا أن القسمة بين الأزواج كانت واجبة على رسول الله (ص) وهذا خلاف القرآن والمشهور بين العلماء من أن القسمة لم تكن واجبة على رسول الله (ص) وقد عدّ السيوطي في الخصائص الكبرى ذلك من خصائص النبي (ص) ففي قوله تعالى :

﴿ترجي من تشاء منهن وتؤي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾[1] .

ذهب غالب المفسّرين إلى عدم وجوب القسمة عليه بهذه الآية .

أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال كان رسول الله موسع عليه في قسم أزواجه يقسم بينهن كيف شاء وذلك لقول الله تعالى ذلك أدنى أن تقرّ أعينهن إذا علمن أن ذلك من الله ، وقال بعض العلماء في وجوب القسم عليه مشغل عن لوازم الرسالة وقد صح كما أخرج البخاري وغيره أنه

---

(١) سورة الأحزاب : ٥١ .

(ص) كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسعة نسوة وهذا ينافي وجوب القسم[٢] .

وأخرج أبو يعلي في مسنده .

وابن سعد عن أنس بن مالك قال : كنت أصب لرسول الله من غسله من نسائه جميعاً .

وأخرج أيضاً عن سلمى مولاة رسول الله قالت طاف رسول الله ليلة على نسائه التسع اللاتي توفي عنهن كلما خرج من عند امرأة قال لسلمى صبّي لي غسلاً فيغتسل قبل أن يأتي الأخرى فقلت يا رسول الله أما يكفيك غسل واحد ؟ فقال النبي (ص) هذا أطيب وأطهر[٢] وبعد سرد هذه الأخبار فلو فرضنا أن النبي (ص) كان يقسم بين أزواجه فإن ذلك تفضلاً منه ورخصة من الله . وتحقيقاً للعدالة الإلهية التي كان يتحلى بها ، ولا أظن أن القسمة في حال مرض النبي تجب عليه على فرض وجوبها في حال الصحة .

وبعد هذا التنافي والاختلاف في أحاديث أُم المؤمنين نرى أن قواعد علم الحديث تلزمنا بعدم الأخذ بها فلا يصح الإعتماد على واحد منها ولا تعجب كيف روى أصحاب الصحاح هذه الأحاديث المتناقضة في واقعة واحدة لأن غالب المحدّثين ينظرون إلى رنين الحديث من خلال عنعناته التي فيه ولا ينظرون إلى المعنى غالباً ولا يخفى على القارىء الأريب أن مسألة دفن النبي (ص) في حجرة عائشة لم ترد عن أحد من الصحابة مع أن مثل هذه الحادثة يجب أن تكون متواترة عن الصحابة لا عن عائشة فحسب .

---

(١) طبقات ابن سعد ١٧٢/٨ الخصائص الكبرى ١/٦٩ـ ٢/٢٤٧، صحيح البخاري ١/٧٩ـ ٧/٤٤ رواه مسلم أيضاً عن طريق هشام بن زيد عن أنس . مصنف عبد الرزاق ١/٢٧٥ سنن ابن ماجه ١/١٩٤ ، سنن النسائي كتاب الطهارة باب ٦٩، سنن الدارمي ١/١٩٢ ، سنن أبي داود كتاب الطهارة باب ٨٤، مسند أحمد ٦/٨ـ ٩ـ ٣٩١.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/١٧٣ـ ١٩٢ والحديث في الطبقات فيه خطاء بالتقديم والتأخير والصحيح ما أثبتناه وقد أخرجه ابن أبي شيبة الكوفي في كتابه المصنف عن أبي رافع ج ١/١٤٧ . مسند أبي يعلى ٦/٦٥ تاريخ جرجان للسهمي ص ١٥٥ .

أحاديث تعارض أحاديث أُم المؤمنين

ولو أخذنا بهذه الروايات فإن هناك روايات أخرى تخالفها يظهر منها أن النبي دفن في حجرة غيرها فهذا الطبري يروي عن فقهاء أهل الحجاز بأن رسول الله (ص) وجع وجعه الذي مات فيه في آخر صفر وهو في بيت زينب بنت جحش ويظهر من كلامه هذا أنه مات في حجرتها . . . وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن أسماء بنت عميس وأحمد في مسنده .

والإمام الحافظ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي المتوفي سنة ٢٧٧ هـ. في كتابه (المعرفة والتاريخ) ما يعارض حديث عائشة فقد رووا عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن رسول الله (ص) اشتكى أول شكوته الذي توفي فيها وهو في بيت ميمونة زوج النبي (ص) فاشتد عليه وجعه حتى غمر من شدة الوجع فاجتمع عنده نساء من أزواجه منهن أُم سلمة وعمه العباس وأسماء بنت عميس[١] فتشاوروا في لدّ رسول الله (ص) حين غمر فلدوه وهو مغمور فلما أفاق قال من فعل هذا بي ، هذا عمل نساء جئن من ها هنا وأشار إلى أرض الحبشة فقال رسول الله لا يبقى في البيت أحد إلاّ لدّ ـ كالعقوبة لهم ـ إلاّ عم رسول الله (ص) ، قال أبو بكر فالتدت ميمونة يومئذ وهي صائمة من أجل قسم رسول الله (ص) وهذا الحديث يدل على أن النبي أغمي عليه وهو في بيت ميمونة وتوفي في نفس حجرتها .

وقد أخرج الطبري نفس الحديث عن عائشة إلا أنها زادت عليه بما هو محل التهمة (فاستأذن نساءه أن يمرض في بيتي فأذن له)[٢] .

---

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ٥١٠ طبع أوقاف العراق ، البداية والنهاية ٥/ ٣٥٥ مصنّف عبد الرزاق ٥/ ٤٢٨ـ ٤٢٩ مسند أحمد ٦/ ٤٣٨ مستدرك الحاكم ٤/ ٢٠٢ كتاب الأوائل لأبي بكر بن أبي عاصم ص ٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ١٩٨ـ ١٩٥ لا يخفى أن حديث ألدّ من الموضوعات.

وعلى فرض أن هذه الأخبار مخالفة للمشهور فلا يأخذ بها فإن أخبار عائشة متضاربة كما تقدم لا يُأخذ بها أيضاً فلا بد من طريق آخر لتحقيق هذه المسألة .

الميزان في تحقيق المسألة

وبما أن الواقع هو الميزان الذي توزن به الحقائق والذي لا يتبدل ولا يتغيّر وهو معيار صدق الخبر وكذبه فإننا عولنا في تشخيص هذه المسألة على مكان قبر النبي اليوم وموقعه من مسجده وجعلناه المدار في هذا البحث وقد اعتمدنا على خريطة مرآة الحرمين لنواء إبراهيم رفعت باشا المطبوع في دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هجرية .

وهذه الخريطة لمسجد النبي (ص) وقبره الشريف أمر لا يمكن لأي طرف الخدش فيها ولا يمكن التلاعب بها ، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل أن حجرة عائشة كانت حيث قبر النبي (ص) اليوم حتى تصح دعواها أم هي حجرة أخرى والصفحات التالية هي التي تتكفل بإعطاء الجواب على هذا السؤال ، وتسهيلاً على القارىء الكريم وضعنا خريطة أخرى أكثر وضوحاً تبين لنا مكان مرقد النبي (ص) ومكان حجرة عائشة من المسجد .

صحن مسجد النبي ص

التوسعة الجديدة للمسجد

صحن مسجد النبي ص

الشمال

الشر

باب السلام

حجرة عائشة

الجنوب

القبلة

محل الآذان

المحراب الجديد

محراب الرسول

قبر الرسول الأعظم

قبر أبو بكر

قبر عمر

الصفة

باب البقيع

باب جبرائيل

حدود المسجد النبوي :

هاجر النبي (ص) إلى المدينة وهو لا يملك فيها شيئاً من حطام الدنيا وهكذا كان أصحابه المهاجرون . فلما حل في المدينة بنى مسجده ثم بنى حجر نسائه حوله وكان عنده يومذاك سودة بنت زمعة وعائشة التي بنى بها بعد هجرته الشريفة وكان كلما بنى بزوجة جديدة بنى لها حجرة وأما موضع المسجد الذي بناه فإن الخارطة تعينه قال صاحب مرآة الحرمين المسجد النبوي يقع في الجهة الشرقية من المدينة شكله شبه مستطيل متوسط طوله من الشمال إلى الجنوب (١١٦/٢٥) متراً ، وعرضه من الجهة (القبلة) الجنوبية (٨٦/٢٥) متراً وعرضه من الجهة الشمالية (الشامية) (٦٦) متراً[١] .

وهذا التحديد للمسجد إنما هو في عصر المؤلف إبراهيم باشا ، وإلا فأصل مسجد النبي هو أقل مساحة من المقدار الذي ذكره صاحب المرآة وقد نقل السمهودي في كتابه (وفاء الوفاء) الأقوال فيه فراجع[٢] .

وقبر النبي (ص) كما هو مشخص في الخارطة يقع في الزاوية الشرقية الجنوبية منه وهذا أمر ظاهر للعيان لا تصح فيه المناقشة وعليه فإن النبي (ص) لا شك أنه دفن في حجرة من حجره التي بناها حول المسجد ، إذاً لمن كانت تلك الحجرة ؟ وكيف كانت حجر نسائه تحيط بالمسجد ؟ وأين موضع حجرة عائشة من هذه الخارطة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات لا بدّ لنا من بيان موقع الحجرات من المسجد وأول ما بني منها النبي (ص) .

أخرج ابن سعد عن الزهري أنّ النبي لمّا بنى مسجده جعل طوله مما

---

(١) مرآة الحرمين ٤٤٨/١ .

(٢) وفاء الوفاء ٣٤٠/١، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص ٣٥٦ الطبقات ٢٣٩/١ .

يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مربع ويقال إنه كان أقل من المائة ثم بنى بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بابه شارع إلى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان[1] .

وقال السمهودي لما بنى النبي (ص) المسجد بنى بيتين لزوجته عائشة وسَوْدَة على نعت المسجد من لبن وجريد النخل وقد نقل أيضاً عن ابن النجار أنه كان لبيت عائشة مصراع واحد من عَرْعَر أوساج وقال لما تزوج رسول الله (ص) نساءه بنى لهن حجراً وهي تسعة أبيات وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي (ص) وضرب النبي (ص) الحجرات ما بينه وبين القبلة والشرق إلى الشام ولم يضربها في غربيه وكانت خارجة عن المسجد مديرة به إلا من المغرب ، وكانت أبوابها شارعة إلى المسجد[2] .

وأسند ابن زبالة عن محمد بن هلال قال : أدركت بيوت أزواج النبي (ص) كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة في القبلة وفي المشرق والشام وليس في غربي المسجد شيء منها[3] .

والمستفاد من هذه الأخبار الاتفاق على أن حجرات نساء النبي (ص) كانت تدور حول المسجد وتحيط به من الجهات الثلاثة إلا المغرب ولكي يتضح لنا موقع حجرة عائشة لا بدّ لنا من سبر الأخبار الأخرى التي تلقي الضوء عليها بالخصوص .

أخرج ابن عساكر وابن زبالة عن محمد بن أبي فديك عن محمد بن هلال أنه رأى حُجَر أزواج النبي (ص) من جريد مستورة بمسُوح الشعر فسألته عن بيت عائشة ، فقال : كان بابه من جهة الشام ، قلت : مصراعاً كان أو

---

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ٢٣٩- ٢٤٠- ٤٩٩ .

(٢) وفاء الوفاء ١/٣٣٢- ٤٥٨ و٤٥٩ ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ٣٥٨ .

(٣) وفاء الوفاء ١/٤٥٩- ٤٦٠ ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة/ ٣٥٨ .

مصـراعين ؟ قال : بـاب واحد ، قلت من أي شيء كـان ، قـال : من عـرعـر أوساج[1] .

وأسند يحيى من طريق الواقدي عن عبدالله بن يزيد الهزلي قـال : رأيت بيوت أزواج النبي حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت من لبن ولهـا حجر من جريد مطرورة بالطين عددت تسعة أبيات بحجرها وهي ما بين بيت عائشـة إلى البـاب الذي يلي بـاب النبي (ص) إلى منزل أسمـاء بنت حسن بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس .

وقال عمران بن أبي أنس كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جـريد وكانت خمسة أبيات من جريـد مطينـة لا حجر لهـا على أبوابهـا مسوح الشعـر ذرعت الستر فوجدته ثلاث أذرع في ذراع والعظم أو أدنى من العظم[2] .

وبعد هذا العرض لتلك الأخبار تتضح لنا النقاط التالية :

أولاً : إن الحجر كانت محيطة بالمسجد من جوانبه إلّا المغرب وكـانت أبوابها شارعة إليه .

ثـانياً : إن حجـرة عائشـة كانت في طـرف القبلة مقابـل الشام كمـا في حديث ابن زبالة وابن عساكر ولذا قال ابن عساكر وباب البيت شامي[3] .

ثالثاً : إنّ حجرة عائشـة هي أول الحجر ولـذا جعل حـد حجرات نسـاء النبي (ص) بين حجـرة عائشـة وباب آل عثمـان وهو بـاب أسماء بنت الحسن وهذا الباب يقع في الجهة الشرقية في مقابل باب السلام .

ونحن إذا رجعنا إلى الأبواب التي جعلهـا النبي (ص) للمسجد لمـا بناه يتضح لنا الأمر أكثر . فالنبي (ص) لما بنى المسجد جعل له ثلاثـة أبواب بـاباً في مؤخره ، وباب عاتكة وهو باب الرحمة ـ كمـا يظهـر في الخارطـة ـ والباب

---

(١) المصدر السابق ٢/٤٥٩ـ ٤٦٠ و٥٤٢ ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ٣٦٨ .

(٢) وفاء الوفاء ٢/٤٦٠ ، طبقات ابن سعد ٨/١٦٧ .

(٣) المصدر السابق ٢/٥٤ ، طبقات ابن سعد ١/٤٩٩ و٨/١٦٦ـ ١٦٧ .

الذي كان يدخل منه وهو الباب الذي يلي باب آل عثمان وهو الذي يسمى اليوم باب جبرائيل[1] .

ولا يخفى أن ذلك ليس اختلافاً في التحديد بل هو عين الواقع لأنّ النبي (ص) لما بنى المسجد لم يكن عنده إلاّ عائشة وسودة بنت زمعة فكانت الحجر تمتد من جهة القبلة إلى قريب باب آل عثمان ، وخبر يحيى إنما هو بعد وفاة النبي (ص) حيث رأى حجر نسائه التسع ممتدة من حجرة عائشة إلى باب أسماء بنت الحسن وأما باب آل عثمان الذي جاء في رواية ابن سعد وهو منتهى الحجر قبل بناء بقية حجر نسائه فهو الباب الذي كان يدخل منه النبي (ص) قال المراغي تبعاً للمطري وهو باب جبرائيل[2] .

ولا يخفى أن القبلة كانت في ابتداء الأمر إلى جهة بيت المقدس أي الشام وبعد ستة عشر شهراً أو سبعة عشر على الاختلاف في تحويل القبلة حولت القبلة تماماً ولذا جاء في الأخبار أن النبي (ص) صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر ثم تحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال[3] .

وهذا الشيء يتناسب مع الواقع تماماً حيث أن القبلة كانت في ابتداء الأمر إلى جهة بيت المقدس والنبي كان عنده يومذاك عائشة وسودة كما تقدم ، ومحال أن يجعل النبي حجر نسائه في طرف القبلة أي بيت المقدس حتى تخرج نساؤه أمام المصلين بل جعل حجرهم عكس القبلة تماماً أي في طرف القبلة بعد التحويل .

ومما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه من أن حجرة عائشة كانت في طرف القبلة بعد التحويل ما رواه البخاري عن أنس بن مالك في باب مرض النبي (ص)

---

(١) المصدر السابق ١/٣٥٣، طبقات ابن سعد ١/٢٤٠ .

(٢) وفاء الوفاء ٢/٤٩٦- ٦٨٦ .

(٣) وفاء الوفاء ١/٣٦٢. مسند علي بن الجعد ٢/٩٢٧ تاريخ الطبري ٢/٤١٦-٤١٧ .

وهو وحده كاف في صحة المطلوب ودليل قطعي لا يقبل الشك وإليك نص الحديث .

عن أنس بن مالك قال : إن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله (ص) قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصَّفَّ وظن أن رسول الله يريد أن يخرج إلى الصلاة فقال أنس وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار إليهم رسول الله بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر (١) .

وهذا الحديث صريح بأن رسول الله كان في حجرة عائشة وكشف الستر فرآه أبو بكر وسائر المسلمون ونكص أبو بكر على عقبيه ليصلي النبي مكانه وهمَّ المسلمون بأن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ومعنى هذا أن النبي بمجرد أن كشف ستر حجرة عائشة فاجأ المسلمين جميعاً مع أنه لم يخرج إليهم وما ذلك إلا لأنه كان في قبلتهم وأمام الجميع ولو أن حجرة عائشة كانت في الموضع الذي دفن فيه لما رآه أحد من المسلمين فضلاً عن الجميع ولم يفرحوا ولم يفاجأهم مع أنه لم يخرج من الحجرة وبقي في داخلها وإنما كشف الستر فقط .

والذي يظهر من الخارطة أن باب جبرائيل بعيد عن الحجرة التي دفن فيها النبي (ص) إلاّ أنّ الواقع ليس كما هو في الخارطة لأنّ باب جبرائيل أخر كثيراً إلى طرف باب النساء الذي استحدثه عمر .

وباب جبرائيل كان مقابل الحجرة الشريفة التي دفن فيها النبي (ص) ويدل على ذلك ما نقله السمهودي بقوله بعد الحريق الذي أدركناه وجدوا في محاذاة باب جبرائيل أمام باب الحجرة المذكورة درجاً تحت الأرض آخذة لجهة الشام وقد سبق في حدود المسجد النبوي ما يقتضي أن جداره في المشرق كان هناك ، فترجح عندي أن تلك الدرج كانت لباب جبرئيل (ع) ،

---

(١) صحيح البخاري ١٥/٦ فتح الباري ١٠٩/٨ .

وأنه كان هناك قبل تحويله [١].

وباب آل عثمان هو باب النبي (ص) الذي كان يدخل منه وهو عينه باب جبرائيل وإنما سمي باب آل عثمان لمقابلته لدار عثمان بن عفان [٢].

قال ابن جبير في رحلته في تعداد أبوابه أحدها باب جبرائيل (ع) ويقابل باب جبرائيل دار عثمان [٣].

وزبدة المخض أن غرفة عائشة كانت أول الحجر من جهة القبلة من الزاوية الغربية لكون النبي (ص) بنى بها في المدينة والروايات حددت مبدأ حدود حجر نساء النبي (ص) من حجرة عائشة إلى طرف باب جبرائيل وهو موضع قبر النبي (ص) اليوم وهو باب آل عثمان والحجر الآخر تمتد منها إلى أن تدور إلى المشرق إلى أن تصل إلى باب النساء الذي استحدثه عمر بن الخطاب ومما يدل أيضاً على أن حجرة عائشة كانت في القبلة أن خوخة آل عمر التي كانت مربداً أخذته حفصة عوضاً عن حجرتها وهي التي يتوصل إليها اليوم (زمن السمهودي) من الطابق الذي بالرواق الثاني من أروقة القبلة وهو الرواق الذي يقف الناس اليوم فيه للزيارة أمام الوجه الشريف والمعروف عند الناس أن البيت الذي على يمين الخارج من خوخة آل عمر المذكورة هو بيت عائشة [٤].

قال ابن بطوطة أن عمر بن عبد العزيز لمّا أراد توسعة المسجد في جهاته الثلاثة ، فلما صار إلى القبلة امتنع عبيدالله بن عمر من بيع دار حفصة [٥].

وهذا مما يثبت أن دار حفصة كانت في القبلة وقد تقدم أن حجرة عائشة

---

(١) وفاء الوفاء، ٢/ ٤٧٠ و٢/ ٦٨٩.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٦٨٩.

(٣) رحلة ابن جبير ص ١٧٢.

(٤) وفاء الوفاء ٢/ ٧٠٦ـ ٧١٨ـ ٧١٩.

(٥) رحلة ابن بطوطة ص ١١٨.

ملاصقة لها من القبلة[1] .

وعليه فإن حجرة عائشة بعيدة عن موضع قبر النبي (ص) جداً وقد اختلط الأمر على القوم فلم يستطيعوا أن يوفِّقوا بين قبر النبي (ص) وغرفة عائشة ، قال مسلم : وقد ثبت لي بالمدينة أن البيت الذي فيه قبر النبي (ص) بيت عائشة ، وأن بابه وباب حجرته تجاه الشام[2] .

وهذا الأمر ليس صحيحاً إلّا إذا قلنا أن الحجرة في طرف القبلة لأن حجرة عائشة لم يكن لها إلّا باب واحد شارع إلى المسجد كما تقدم عن ابن زبالة ولذا كانت عائشة كما تحدثنا ترجل شعر رسول الله وهو معتكف في المسجد وهي حائض داخل حجرتها[3] .

فلا يمكن أن يكون باب حجرتها إلى الشام وهي في غير القبلة وقد أخرج ابن سعد عن ابن عيسم لمّا قبض رسول الله (ص) قالوا : كيف نصلي عليه قالوا : أدخلوا من ذا الباب إرسالاً فصلوا وأخرجوا من الباب الآخر[4] وهذا يدل على أنّ الحجرة التي توفي فيها ودفن لم تكن هي حجرة عائشة لأنها كانت بباب واحد والحجرة التي دفن فيها كانت ببابين كما أخرج ابن عساكر وابن زبالة وقد تقدم ذلك .

رابعاً : يستفاد مما أخرجه ابن زبالة وابن عساكر عن محمد بن هلال أن قوله فسألته عن بيت عائشة فقال كان بابه من جهة الشام هذا السؤال عن حجرة عائشة يدل صراحة على أنّ النبي (ص) لم يدفن في حجرتها وإلّا لما سأله عن حجرة عائشة وإنّما سأله عن الحجرة لأنّها كانت مع سائر حجرات نسائه

---

(١) وفاء الوفاء ٢/٥٤٣ .

(٢) وفاء الوفاء ٢/٥٤٥ .

(٣) وفاء الوفاء ٢/٥٤٢ ، فتح الباري ٤/٢٣٦ ، صحيح البخاري ـ كتاب الحيض ، ١/٨٢ ، مسند أحمد ٦/٣٣ ، مسند الحميدي ١/٩٦ ، طبقات ابن سعد ٨/١٦٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٢/٢٨٩ ، وفاء الوفاء ٢/٥٤٢ ، الوفاء بأحوال المصطفى ص ٧٩٩ .

التسع وهو لا يعرفها بعينها .

وهذه النكتة سمعتها من أستاذنا خرِّيت هـذا الفن العلامـة السيد مهـدي الروحاني (دامت إفاضاته) .

خامساً : إن ما رواه ابن زبالـة وابن عساكـر عن محمد بن هـلال من أنّه عد الحجرات فكانت تسعة وكانت حجرة عائشة بمصراع واحد إلى جهة الشام بالإضافة إلى ما أخرجه ابن سعد عن الهذلي من أنّ الحجر لما هدمها عمر بن عبد العزيز كانت تسعة أبيات بحجرها وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي (ص) إلى منزل أسماء بنت الحسن .

وروي أيضاً عن عمران بن أبي أنس كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جـريد وكـانت خمسـة أبيـات من جريـد مطينـة لا حجر لهـا على أبوابهـا مسوح الشعر[1] .

وكـل هذه الـروايات تـدل على أن حجـرة عـائشـة لم يـدفن فيهـا النبي (ص) .

قال السمهودي تعليقاً على ما رواه ابن سعـد عن عمران ابن أبي أنس : وكان بيت عائشة أحد الأربع المذكورة[2] .

أدلّـة أخـرى

وهناك أدلة أخرى تدل على أن النبي (ص) لم يدفن في غرفـة عائشـة ، وإليك هذه الأدلة :

ألف : أخـرج الإمام أحمـد والطبـري وابن سعـد عن عـائشـة ـ واللفظ لأحمـد ـ أنها قـالت ما علمنـا أين يدفن رسـول الله (ص) حتى سمعنا صـوت

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/١٦٦ـ ١٦٧ ، وفاء الوفاء ٢/٤٦١ .

(٢) وفاء الوفاء ٢/٥٤٠ .

المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء[1] .

فكيف يدفن النبي (ص) في حجرة عائشة وهي لم تعلم أين يدفن حتى سمعت صوت المساحي في الليل وهذا يؤيد ما قاله الشيخ المفيد في الإرشاد من أنّ النبي (ص) دفن وفاتَ أكثر المهاجرين والأنصار الصلاة عليه لما جرى بينهم من التشاجر في أمر الخلافة[2] .

باء : ما تقدم من إدخال حجرات نساء النبي التسع في المسجد وأول من أدخل حجرات نساء النبي (ص) في المسجد هو عمر بن عبد العزيز لما كان والياً على المدينة للوليد .

قال السمهودي : وأخبار المؤرخين متطابقة على أن حجر أزواج النبي (ص) أدخلت في المسجد بأمر الوليد[3] .

فالحجرات كانت بأجمعها موجودة لمّا هَدَمَها عمر بن عبد العزيز وقد صرّحوا أن عمر بن عبد العزيز إنّما هدم الحجر التي كانت في جنوب (القبلة) المسجد وشماله (الشام)[4] .

مع أن الحجرة التي يقع فيها قبر النبي (ص) في شرق المسجد وحجرة عائشة كانت مع الحجر التي هدمها لأنهم صرّحوا أنه هدم الحجرات التسع وهو مطابق لما أثبتناه سابقاً من أنّها تقع في القبلة إلى طرف المغرب .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١٣-٢١٧ طبقات ابن سعد ٢/٢٠٥ ، البداية والنهاية ٥/٢٧٠، تاريخ الخميس ٢/١٧٢، سيرة ابن هشام ٤/٣١٤، وفاء الوفاء بأحوال المصطفى ٢/٧٩٩ أسد الغابة ١/٣٤، مسند أحمد ٦/٦٢- ٢٤٢- ٢٧٤ ، مصنف ابن أبي شيبة ٣/٣٤٧. دلائل النبوة ٧/٢٥٦ .

(٢) الإرشاد ص ١٠١ ، بحار الأنوار ٢٠/٥١٩ .

(٣) وفاء الوفاء ٢/٥١٦، مرآة الحرمين ٢/٤٦٣ ، الدرة الثمينة ٣٥٩. طبقات ابن سعد ٨/١٦٧ .

(٤) وفاء الوفاء ٢/٥١٧، مرآة الحرمين ١/٤٦٣ .

جيم : وصية النبيّ (ص) بأن يدفن في مكان معين كما سيأتي ولم يقل في حجرة عائشة وكيف لا يوصي أين يدفن حتى يدفن في حجرتها وهو يعلم بأنها ستخرج على تعاليمه وتقود الرجال وتنبحها كلاب الحوأب وقد أشار (ص) في إحدى الأيام إلى أن الفتنة تخرج من حجرتها وهو يخطب على المنبر ففي لفظ البخاري هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان[1] والطبيعة البشرية تأبى أن يقبل الإنسان بأن يدفن في بيت من يكرهه مع أنّ النبي كان يعلم بما سيحدث وما ستفعل أم المؤمنين بعده . ومن هنا كان يتمنّى موتها في حال حياته كما تقدم .

فهل يدفن النبي (ص) في موضع يطلع منه قرن الشيطان؟ حاشا الرسول (ص) من أن يكون ترك الوصية حتى دفن هناك .

دال : إنّ الروايات تدل على أنّ عائشة قد باعت حجرتها من معاوية فقد ذكر ابن سعد أنّ معاوية أرسل إليها واشترى حجرتها بمائة وثمانين ألف درهم ، ويقال بمئتي ألف درهم وشرط لها سكناها طيلة حياتها[2] .

ولا يخفى أنّ الحجرة التي باعتها من ابن الزبير ليست الحجرة التي باعتها لمعاوية لأن سودة أوصت بحجرتها لعائشة كما أسند ابن زبالة عن هشام بن عروة أنّ ابن الزبير ليعتد بمكرمتين ما يعتد أحد بمثلهما : إن عائشة أوصته ببيتها وحجرتها وأنه اشترى حجرة سودة[3] .

هاء : إن الحجرة التي دفن فيها النبي (ص) لا تنطبق من حيث المساحة على حجرة عائشة لأنّنا إذا رجعنا إلى حجرة عائشة وما تحدث عنها

---

(١) صحيح البخاري ٤/١٠٠، صحيح مسلم ٤/٢٢٢٩، مسند أحمد ٢/٢٣-٣٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/٦٤-١٩٤ ، وفاء الوفاء ١/٤٦٤ وقريب منه ما في حلية الأولياء ٢/٤٩، مسند الحميدي حديث ٣٠ من مسند ابن عمر .

(٣) نفس المصدر السابق ، وأخرج البخاري في تاريخه الصغير ١/١٠٩ عن عروة عن عائشة أن سودة لما حضرتها الوفاة أوصت لعائشة ببيتها .

التاريخ نجد أنها أكبر بكثير من الحجرة التي دفن فيها النّبي (ص) وإليك بيان ذلك .

روى البخاري وغيره أنّ عمر بن الخطاب لما طعن أرسل إلى عائشة يسألها أن يدفن مع صاحبيه قالت : كنت أريده لنفسي فلأوثرنّه اليوم على نفسي[1] وهذا الكلام من عائشة يدل على أنّ الحجرة كانت صغيرة ولا تسع إلّا لثلاثة قبور فقط : قبر النبي (ص) وقبر أبي بكر والقبر الذي تركته لها ثم آثرت عمر على نفسها فيه .

قال ابن التين : كلامها في قصة عمر يدل على أنّه لم يبق ما يسع إلّا موضع قبر واحد[2] .

وقد كانت عائشة صادقة في هذه الدعوى لأن الحجرة كانت كذلك ويدل عليه أنّ عمر كان طويلاً كما يقولون وقد حفروا في أساس الحجرة لمّا دفنوه .

روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه جاف بيت النبي (ص) من شرقيه ، فجاء عمر بن عبد العزيز ومعه عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر فأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس فبينما هو يكشفه إلى أن رفع يده وتنحّى واجماً ، فقام عبدالله بن عبيدالله فزعاً فقال عبدالله بن عبيدالله : أيّها الأمير لا يروعَنَّك فتانك قَدَما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له في الأساس[3].

---

(١) صحيح البخاري ٢/١٢٩، فتح الباري ٣/٢٠٥، وفاء الوفاء ٢/٥٥٧، طبقات ابن سعد ٣/٣٦٣، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص ٣٩٠، مصنف ابن أبي شيبة ج ٣/٣٤٩.

(٢) وفاء الوفاء ٢/٥٥٧.

(٣) جاف : أي ظهرت له رائحة وقد جاء في بعض الروايات أنّ هرة ماتت داخله وفاء الوفاء ٢/٥٤٥ و٥٥٤، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ٣٩٣، صحيح البخاري ٢/١٢٨ . طبقات ابن سعد ٣/٣٦٨.

هـذه صورة عن الحجـرة التي دفن فيهـا النبي (ص) ، وإذا ألقينـا نـظرة على حجرة عائشـة التي كانت تسكنهـا بعد مـوت النبي وجدنـاها على خـلاف هذه الصورة فقد كانت واسعة وقد انعقد فيها مجلس الشورى بأمـر من عمر بن الخطاب ، فقد روى ابن شبه والطبري وغيرهما أنّ عمر قـال في حديثـه لأهل الشورى فاجتمعوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشـاوروا واختاروا منكم رجـلاً فلما دفن عمر جمع المقداد بن الأسود أهل الشورى في بيت عائشة بإذنها[١] .

فانعقاد الشورى في حجرة عائشة دليل على أنّ حجرتها ليست الّتي دفن فيهـا النّبيّ (ص) وإلاّ هل يقبـل أيّ عاقـل أنّ كبار الصحـابة جلسـوا على قبر رسول الله (ص) وعلى قبر عمر الذي لم يجف بعد وقبر أبي بكر . . . فلا بـدّ أن تكون حجرتها مغايرة للحجرة التي دفن فيها النبيّ (ص) هذا بالإضافـة إلى أنّ عائشة بعد قتل أخيها محمّد بن أبي بكر ضمت إليها أطفاله وكـذلك ضمت إليها أولاد أخيها عبد الرحمن[٢] وقـد صرحت أم المؤمنين بسعـة حجرتهـا في الحـديث الذي أخـرجه عنهـا عبد الـرزاق في مصنفـه قـالت كـان النبيّ (ص) يصلي العصر حين تخرج الشمس من حجرتي وكأن حجرتي بسطة[٣] .

وهذا دليل على سعة حجرتها .

* * *

إذاً أين دفن النبي صلى الله عليه وآله ؟

وبعد هذا التحقيق يبقى السؤال وهو : أين دفن الرسـول (ص) ؟ ولماذا أخفيت تلك الحقيقـة وغيرت بعـد عدم انـطبـاق الحجـرة التي دفن فيهـا على حجرة عائشة لا نقلاً ولا موقعاً .

---

(١) تاريخ الطبري ٢٢٨/٤ العقـد الفريـد ٤/٢٧٥ـ٢٧٧ . تاريـخ المدينـة لابن شبه ٩٢٦/٣ .

(٢) طبقـات ابن سعـد ٤٨١/٨ الكـامـل ٣٥٧/٣، شـرح النهـج ٨٨/٦، الغـارات ٢٨٥/١ .

(٣) بسطة واسعة مصنف عبد الرزاق ٥٤٩/١ .

وللإجابة على هذا السؤال لا بدّ لنا أن نطرق أبواب المسألة من طريق آخر غير طريق العنعنات كما فعلنا في بداية المسألة ولا يخفى على القارىء الكريم أن الخريطة المتقدمة لا تزال هي مدار الواقع وتشخيص الحق في هذه المسألة .

إذاً ما هو المنقول الذي يوافق موضع الغرفة التي دفن النبي (ص) فيها ؟

إذا رجعنا إلى المنقول في هذا الصدد نجد أنّ هذه الحجرة هي حجرة فاطمة الزهراء (ع) فقد أسند ابن زبالة ويحيى عن سليمان بن سالم عن مسلم بن أبي مريم وغيره : كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله (ص) في المربعة في القبر ، قال سليمان : قال لي مسلم : لا تنس حظك من الصلاة إليها فإنّها باب فاطمة (ع) الذي كان علي (ع) يدخل عليها منه[١] .

وأسند أبو غسان كما قاله ابن شبة عن مسلم بن سالم بن مسلم بن أبي مريم قال : عرّس علي (رضي الله عنه) بفاطمة بنت رسول الله (ص) إلى الاسطوان التي خلف الاسطوان المواجهة الزور وكانت داره في المربعة التي في القبر قال سليمان وقال مسلم لا تنس حظك من الصلاة إليها فإنّه باب فاطمة التي كان عليّ يدخل إليها منه وقد رأيت حسن بن زيد يصلي إليها[٢] .

قال السمهودي : ومن فضل هذه الاسطوانة ما أسند يحيى عن أبي حمراء قال : رابطت بالمدينة سبعة أشهر كيوم واحد وكان رسول الله (ص) يأتي باب عليّ كل يوم فيقول : الصلاة ، الصلاة (ثلاث مرات) **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** وقد حرم الناس الصلاة إلى هذه الإسطوانة لإدارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وغلق أبوابه[٣] .

وقد روى الطبراني أيضاً في حديث أبي ثعلبة : كان النبي (ص) إذا قدم

---

(١) وفاء الوفاء ٢ / ٤٥٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ٢ /٤٦٧ .

(٣) وفاء الوفاء ٢ / ٤٥٠ .

من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثني بفاطمة ثم يأتي بيوت نسائه[1].

وقريب منه ما أخرجه الإمام أحمد في كتاب الفضائل والبلاذري في أنساب الأشراف عن أنس بن مالك أن النبي (ص) كان يمر ببيت فاطمة (ع) ستة أشهر وهو منطلق إلى صلاة الصبح فيقول الصلاة أهل البيت **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[2].

والذي يتأمل هذه الأخبار يجد أن بيت الزهراء داخل المربعة بل هو نفس المربعة وهذا صريح ما أسنده ابن زبالة كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله في المربعة التي في القبر وخاصة إذا علمنا بأن الاسطوان الذي هو مربع القبر قد أدخل في القفص الذي عبّر عنه السمهودي بالشباك حين قال لإدارة الشباك الدائر حول الحجرة الشريفة وغلق بابه فهو صريح أن المربع الذي هو الاسطوان قد أصبح داخل القفص الشريف وقد حرم الناس من الصلاة إليه .

ومما يؤكد لنا ما ذهبنا إليه ما أخرجه ابن شبه في تاريخ المدينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : دفن عليٌ فاطمة (رضي الله عنها) ليلاً في منزلها الذي دخل في المسجد فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس وروى عنه أيضاً أنه كان يقول : قبرت فاطمة (رضي الله عنها) في بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد قال ابن شبه فهذا ما حدثني به أبو غسان في قبر فاطمة ووجدت كتاباً كتب عنه يذكر فيه أن عبد العزيز بن عمران كان يقول إنها دفنت في بيتها وصنع بها ما صنع برسول الله (ص) من أنها دفنت في موضع فراشها ويحتج بأنها دفنت ليلاً

---

(١) وفاء الوفاء ٢ /٤٦٧ .

(٢) أنساب الأشراف تحقيق المحمودي ص ١٠٤ ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج ٣٧ حديث ٣١٦ـ٣١٨ شواهد التنزيل ص ١١٠ـ١٣٤ كتاب الفضائل للإمام أحمد في فضائل فاطمة ورقة ١٤٤ .

ولا يعلم بها كثير من الناس[١].

ثمّ إنّ المطري يقول في مقام تحديد اسطوانة التهجد التي كان النبي (ص) يصلي صلاة الليل عندها وهي وراء بيت عليّ[٢].

قال المطري في بيان موضع هذه الاسطوانة هي خلف بيت فاطمة (رضي الله عنها) والواقف إليها يكون باب جبريل المعروف قديماً بباب عثمان على يساره وحولها الدرابزين أي لاصقاً بها يميناً ويساراً وهو الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وعلى بيت فاطمة (رضي الله عنها) وقد كتب فيها بالرخام هذا متهجّد النّبي (ص)[٣].

وهذا نص آخر على أنّ حجرة الزهراء داخلة في الشباك ولا يمكن أن يكون الشباك كما يظهر اليوم وإنّما كان صغيراً على مربعة القبر وهذا يعني أنّه كان يضم حجرة لا أزيد ـ هذا وأنا أرى خلاف ما يراه السمهودي من أنّ أسطوانة التهجد كانت خارج المسجد[٤] وذلك لأنّ النبي (ص) لم يكن ليترك فضل الصلاة في مسجده ويصلي خارجه مع ما جاء من الأثر الصحيح عنه في فضل الصلاة فيه وأنه ثاني مسجد بعد المسجد الحرام في الفضيلة ، ففي الصحيح عنه (ص) أنّ الصلاة في مسجده أفضل من ألف صلاة فيما سواه[٥].

ومما يؤيد ما قلناه أنّ ما ذكر للمسجد من أبواب عند الحجرة التي دفن فيها النبي (ص) إنّما هي باب واحد بأسماء مختلفة ، فاسطوانة جبرائيل هي في مربعة القبر الشريف وباب جبرائيل هو المعروف قديماً بباب عثمان ، وقد

---

(١) وفاء الوفاء ٢/٩١، تاريخ المدينة لابن شبه ج ١/١٠٦ـ١٠٨.

(٢) وفاء الوفاء ٢/٤٥٠.

(٣) المصدر السابق ٢/٤٥٢.

(٤) نفس المصدر ٢/٤٥١.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزاز ٢/٥٦، سنن الدارمي ١/٣٣٠، سنن النسائي ٢/٣٥، مسند أحمد ١/١٨٤ و٢/٥٢٨ و٣/٣٤٣.

تقدم سبب هذه التسمية ، ويقال لـه باب علي وبـاب النبيّ (ص) أيضاً ، قـال السمهـودي : باب النبيّ (ص) مبتـدأ أبواب جهـة المشـرق فيمـا يلي القبلة ، الثاني باب علي وكـان يقابـل بيته خلف بيت النبي (ص) ، وقـال المطري في بيان تعداد أبواب جهة المشرق : باب عليّ ثم باب النبيّ (ص)(١).

وهذا الإختلاف في التقدم والتأخّر مما يؤيّد أنّ الباب واحـد وإنّما سمي بباب النبيّ (ص) لكثرة تـردّده إلى المسجد ، منـه أو إلى حجرة الـزهراء الّتي هي بيت عليّ حيث أنّ النبيّ (ص) كـان يأتي منـه ، على ما أخـرج يحيى بن أبي الحمراء قال : رابطت في المدينـة سبعة أشهر كيوم واحـد وكان الـرسول (ص) يأتي باب علي كـل يوم ويقـول : الصلاة الصـلاة (ثلاث مـرات) **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**(٢) ، وإنّما سمّي باب عثمان لكون دار عثمان كما ذكرنا تقع في مـواجهة البـاب ، وقد تقـدم أنّ النبي (ص) لمّا بنى المسجد جعل له ثلاث أبواب فقط : باب عاتكة وهو باب الـرحمة ، وبـاب جبرائيـل وهو مقـابل دار عثمـان ، وباب في مؤخـره ، وإنّما تعددت الأبواب بعد أن وسّعه الخلفاء ، ويكون الباب واحداً في الواقع واشتبه الأمر على السمهودي فقال : ويحتمل أن بيت علي (ع) كان ممتداً في شـرقي حجرة عائشة إلى موضع الباب فسمي باب عليّ بذلك ، ويدلّ له ما تقـدم عن ابن شيبة في الكلام على بيت فاطمة (ع) من أنّه كان فيمـا بين دار عثمان إلى شـرقي المسجد وبين المـواجه لـدار أسماء ويكـون تسمية البـاب الثاني ببـاب النبيّ (ص) لقربه من باب علي (ع) والله أعلم(٣).

ولا يخفى على الباحث أنّ هذا الخبط من السمهودي هو من أجل إقحام غرفة عائشة فـي ذلك المكان حتى تصح دعوى عائشة من أنّ النبي (ص) دفن في حجرتها مع أنّه ذكر أنّ حجرتها كانت في القبلة بجوار حجرة حفصـة وعلى

---

(١) وفاء الوفاء ٢/٦٤٩ ، ٢/٤٥٢ ، ٢/٦٨٨ .

(٢) نفس المصدر ٢/٤٥٠ ، الدرة الثمينة ص ٣٥٩ .

(٣) وفاء الوفاء ٢/٦٨٩ .

ما بيّناه كانت حجرة عائشة أوّل حجرة من القبلة من طرف المغرب كما أشرنا إليها في الخريطة بواسطة السهم .

قال ابن النجار : وبيت فاطمة اليوم حوله مقصورة فيه محراب وهو خلف حجرة النبي (ص) ، قال السمهودي : قلت : المقصورة اليوم دائرة عليه وعلى حجرة عائشة والمحراب الذي ذكره خلف حجرة عائشة من جهة الزور بينه وبين موضع تحترمه الناس ولا يدوسونه بأرجلهم يذكر أنّه موضع قبر فاطمة (ع) كما هو أحد الأقوال[1] .

لا أدري كيف تكون المقصورة دائرة كالحيّة حول حجرة عائشة وبيت فاطمة ومن هنا تعلم تلفيق السمهودي لهذه الحقيقة حيث إنّ حجرة عائشة أبعد الحجر عن الحجرة التي دفن فيها الرسول (ص) ولكن دعوى عائشة ألجأت السمهودي وغيره إلى هذه التخيّلات .

سبب إخفاء حقيقة الأمر :

وأما سبب إخفاء هذه الحقيقة فإنّه يستدعي إلقاء نظرة عابرة على الوضع السياسي وخاصة في أواخر حياة النبي (ص) إلى أن توفيت الزهراء ، والتاريخ في هذه الفترة القصيرة لا يكشف لنا الحقيقة لأنّ المخالفين لأهل البيت سيطروا على أزمّة الأمور وكتبوا التاريخ بحسب أهوائهم وطبق شهواتهم فلا يمكن أن يكشفوا عمّا يخالف آراءَهم إلاّ أنّنا نستطيع أن نتصيّد بعض الحقائق من الفلتات التي لم تشعر بها الرقابة التي فرضوها على التاريخ وهذا التشديد بلغ أوجه في أخريات حياة النبي (ص) حيث منع من كتابة الكتاب حينما قال وهو في مرضه : آتوني بكتفٍ ودواةٍ حتى أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً فقالوا : إنّ رسول الله يهجر .

وفي لفظ البخاري عن ابن عباس : لمّا حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبيّ (ص) : هلمّ أكتب لكم كتاباً لا

---

(١) وفاء الوفاء ٢ / ٤٦٩ .

تضلّوا بعده ، فقال عمر : إنّ النبي (ص) قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبيّ (ص) كتاباً لن تضلّوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ص) ، قال رسول الله (ص) قوموا ، قال عبيدالله فكان ابن عباس يقول : إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم ، وكانت تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنّها نظام اللؤلؤ ، قال : قال رسول الله (ص) : ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً ، فقالوا : إنّ رسول الله يهجر[1] .

نعم إنّ الرزية كانت عظيمة جداً ولذا كان حبر الأمة يبكي كلما تذكر طلب النبي (ص) للكتف ليكتب لأمته كتاباً حتى لا تضل بعده أبداً ، إلاّ أنّ القوم حالوا دون أن يكتب ذلك الكتاب واتهموه بأنّه يهجر حتى إذا كتب النبي (ص) الكتاب قالوا بأنّه كتبه في حال الخلط والهذيان . نعوذ بالله من الخطل والكفر .

فقد جعل القائل النبي (ص) بقوله هذا تحت الأمر الواقع ولذا قال النبي (ص) بعد أن اختلف القوم وانقسموا إلى قسمين : قسم يقول ما قال عمر ، وقسم يقول ما قال النبي (ص) ، فقيل له : ألا نأتينك بما طلبت قال أو بعد

---

(١) صحيح مسلم ١٢٥٩/٣ ، صحيح البخاري ٣٩/١ و٨٥/٤ و١٥٦/٧ ، مسند أحمد ٢٢٣/١ـ ٣٥٥ ، كنز العمال ١٣٨/٣ ، البداية والنهاية ٢٧٧/٥ ، تاريخ الطبري ١٩٣/٣ ، شرح النهج لعبد الحميد ٥١/٦ و٥٥/٢ ، صحيح الترمذي كتاب الجهاد ٥٥/٣ ، طبقات ابن سعد ٢٤٣/٢ ، نهاية الإرب ٣٧٥/١٨ ، أنساب الأشراف ٥٦٢/١ ، تاريخ الخميس ١٨٢/١ ، البدء والتاريخ ٥٩/٥ ، تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ص ١٠٨ ، تاريخ أبي الفداء ١٥١/١ ، السيرة الحلبية ٣٤٤/٣ ، دلائل النبوة للبيهقي ١٨١/٧ـ١٨٤ فتح الباري ١٣٢/٨ مسند أبي يعلى ٣٩٣/٥ و٣٩٣/٣ـ ٣٩٤ و٢٩٩/٤ سنن أبي داود ح ٣٠٢٩ مسند عبد الرزاق ح ٩٧٥٧ مجمع الزوائد ٢١٤/٤ .

ماذا ؟[1] .

ومنع النبي (ص) من كتابة الكتاب لم يكن أمراً عادياً بل هو خطة مدروسة وإنّما ترك الكتابة لما ذكرنا ولأنّه كان قد نبّه المسلمين على مطلبه مراراً وإنّما أراد بكتابه أن يؤكد ما حدّث به مراراً من أنّه ترك في الأمة الثقلين فمن تَمَسّك بهما لن يضلّ أبداً بالإضافة إلى نصّه على خلافة عليّ بعده وقد مهّد له ذلك فأخلى له المدينة وجهّز جيشاً كبيراً من المسلمين تحت قيادة أسامة بن زيد وجعل كبار أصحابه من المهاجرين والأنصار منهم الخليفة الأول والثاني تحت إمرته وحثّه على السير ولعن من تخلف عن هذا الجيش[2] .

والذي أراد النبي (ص) أن يؤكد عليه في هذا الوقت بالذات هو حديث الثقلين الذي رواه أكثر من عشرين صحابياً ورواه كبار العلماء والمحدثين فقد أخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي عن يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله (ص) وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (ص) قال : يا بن أخي والله لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله (ص) فما حدّثتكم فاقبلوه وما لا أحدثكم فلا تكلفونيه ثم قال قام رسول الله (ص) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أمّا بعد ألا يا أيها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وَإنّي تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ، ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه قال من حرم الصدقة من بعده

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٤٢ .

(٢) شرح النهج لعبد الحميد ٢٠/٤١ ، الملل والنحل ١/٢٣ .

وفي لفظ آخر لا وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرّموا الصدقة بعده .

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي سعيد الخدري قال النبي (ص) :

أيّها الناس إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي أمرين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[1] .

وهذا الحديث صريح بأن ما خلّفه النبي (ص) في هذه الأمّة الكتاب والعترة ولا يمكن أن يفترقا (فانظروا كيف تخلفوني فيهما) هذه العبارة تبيّن عظمة الأمانة التي خلّفها النبي (ص) في الأمة وأنّ الأمّة سوف تمتحن في هذه الأمانة التي تتألف من الكتاب والعترة فمن فصل بينهما أو تقدم على أحدهما فقد فشل في الامتحان وخسر الدنيا والآخرة وهذه التوصية المتواصلة من النبي لم تكن منه لأنّه لا ينطق عن الهوى وإنّما كانت بأمر من الله حيث إنّ العترة

---

(١) المعجم الكبير للطبراني حديث ٢٦٧٨ـ ٢٦٨١ ، وأخرجه مسلم عن زيد بن أرقم ٢٤٠٨ ، مسند أحمد ٤/٣٦٦ـ ، صحيح الترمذي ٣٧٨٨ كتاب المناقب ٥/٦٦٣ مجمع الزوائد ٩/١٦٣ ، سنن البيهقي ٢/٤٨ ، كنز العمال ١/٤٥ ، مشكل الآثار ٤/٣٦٨ ، أسد الغابة ٢/١٢ ، الدر المنثور تفسير آية المودة ، مستدرك الحاكم ٣/١٠٩ ، طبقات ابن سعد ٢ القسم ٢/٢ ، حلية الأولياء ١/٣٥٥ ، تاريخ بغداد ٨/٤٤٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢/١١٢ ، كتاب المعرفة والتاريخ ١/٥٣٦ـ ٥٣٧ ، راجع بقية المصادر في كتاب الفضائل الخمسة ٢/٤٣ـ ٥٣ ، المعرفة والتاريخ ١/٣٦٥ـ ٥٣٨ ، مسند أبي يعلي ٢/٢٩٧ مسند أحمد ٣/١٧ ٢٦ـ٥٩ مجمع الزوائد ٩/١٦٣ سنن الدارمي ٢/٤٣١ـ٤٣٢ صحيح مسلم ح ٢٤٠٨ مسند علي بن الجعد ٢/٩٧٢ ح ٢٨٠٥ . قال ابن حجر في الصواعق : ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً ، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بعرفة وفي آخر : أنّه قال بغدير خم وفي آخر : أنّه قال في المدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي آخر أنّه قال : لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطايف ولا تنافي إذ لا مانع أنه كرر عليهم في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة ـ الصواعق المحرقة ص ١٣٦ .

هي التي نشرت الإسلام وحفظته وقاست أشد المحن والآلام في سبيل تخليده وبقائه أمام المنحرفين الذين اتخذوه وسيلة لمآربهم وشهواتهم ولذا كان للعترة السهم الأكبر في تثبيت دعائم الإسلام ومحاربة أعدائه وقد كان للإمام علي (ع) اليد الطولى في الفتوحات التي فتحها المسلمون بقيادة النبي (ص) إذ لولا سيفه ذو الفقار لما قامت للإسلام قائمة .

والنبي (ص) كان يدرك هذا الجهاد العظيم لوصيّه وصهره وكان يدرك ما سيحل به بعد وفاته وماذا ستفعل به الأمّة ، وكان أهل البيت (ع) يشعرون أيضاً بالوحشة والغربة بعد النبي (ص) ويعلمون أنّ العرب ستنقضّ عليهم بعده وتظهر الأحقاد البدرية والخيبرية والحنينية وطالما عانق النبي (ص) الإمام وأجهش بالبكاء فقال له الإمام : ما يبكيك يا رسول الله ؟

فيقول : ضغائن في صدور القوم لا يبدونها لك إلّا من بعدي فقلت في سلامة من ديني ؟ قال : في سلامة من دينك[1] .

وكان يقول له أيضاً : إنّ الأمّة ستغدر بك[2] .

وهذه الحقيقة كان الرسول الأعظم (ص) لا يكتمها عن أصحابه وكان يحدّثهم بما سيفعلون بأهل بيته بعده وما سيحل بعترته .

أخرج ابن ماجه في سننه عن علقمة عن عبدالله قال : بينما نحن عند

---

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام ـ تحقيق المحمودي ٢/٣٢٣، كنزالعمال ٦/٤٠٨، تاريخ بغداد ١٢/٣٩٨ و١١/٢١٦، مجمع الزوائد ٩/١١٨، المعجم الكبير ٣/١٠٩، ميزان الإعتدال ٢/٣٣١، مناقب الخوارزمي ١/٣٦، فرائد السمطين باب ٣٠ حديث ١٢٦، مستدرك الحاكم ٣/١٣٩ كفاية الطالب ص ٢٧٣، الرياض النضرة ٢/٢١٠، شرح النهج لعبد الحميد ٤/١٠٧، كتاب سليم ص ٧٣، التاريخ الكبير للبخاري ١/١٧٤، الكنى والأسماء ١/١٠٤، البداية والنهاية ٦/٢١٨، الخصائص الكبرى ٢/١٣٨ .

(٢) مستدرك الحاكم ٣/١٤٢، الغارات ٢/٤٨٦ ينابيع المودة ١٢ . ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودي ٣/١٤٨ .

رسول الله إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي (ص) إغرورقت عيناه وتغير لونه قال : فقلت : ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال : إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً وفي حديث آخر رواه الحاكم إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وأشدَّ قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم[1] وهذه الأحاديث من علائم النبوة وتاريخ العترة خير شاهد على ذلك .

شعور الزهراء بالخطر :

كانت الزهراء أيضاً تدرك ما سيحل بها وببعلها من قريش وتظاهرهم عليه وهذا ما أظهرته عند احتضار النبي (ص) حيث وقفت فوق رأسه الشريف وهي تبكي حتى ارتفع صوتها فرفع الرسول (ص) طرفه إليها فقال : حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك فقالت : أخشى الضياع بعدك ، وفي عبارة سليم بن قيس ، أخشى على نفسي وولدي الضيعة من بعدك[2] .

وعندما أخبرها النبي (ص) بأنّها أسرع أهله لحاقاً به ضحكت واستبشرت[3] .

وهذا الشعور بالخطر بعد النبي (ص) لم يكن خاصّاً بأهل البيت فحسب بل كان عامّاً في بني هاشم لما كانوا يرون من الحقد والحسد والتآمر

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/١٣٦٦ ، ينابيع المودة ص ٤٣٥ ، عقد الدرر حديث ١٦٣ ، البيان في أخبار صاحب الزمان ص ٣١٤ ، الصواعق المحرقة ص ١٠٠ ، كنز العمال ٧/١٨٧ ، الفصول المهمة فصل ١٢ ، الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص ٢٤٦ ، وأخرجه البيهقي في سننه أيضاً ، مستدرك الحاكم ٤/٤٦٤ ، مصنف ابن أبي شيبة ١٥/٢٣٥ .

(٢) مجمع الزوائد ٩/١٦٥ ، معجم الطبراني الكبير ٣/٥٢ طبع أوقاف العراق ، بحار الأنوار ٢٢/٥٣٦ ، كتاب سليم بن قيس ص ٧٠ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الخلق باب مرض النبي (ص) ، صحيح الترمذي ٢/٣١٩ ، طبقات ابن سعد ٢/٢٤٧ـ٢٤٨ ، الكامل ٢/٣٢٣ ، مستدرك الحاكم ٤/٢٧٢ ، حلية الأولياء ٢/٤٠ .

عليهم من قريش وسائر العرب مع ما سمعوا من النبي (ص) من الثناء عليهم والوصية بهم وحث المسلمين على حبهم واقتداء بهم وتقديمهم لأنهم عدل القرآن . فعن ابن عمر آخر ما تكلم به النبي (ص) أخلفوني في أهل بيتي[1] .

لقد اشتد بغض قريش لأهل البيت حتى عمَّ جميع بني هاشم فهذا العباس عم النبي مع أنه أسلم متأخراً ومع منزلته العظيمة عند قريش نجده ـ يشكو للنبي (ص) حسد قريش وبغضهم لبني هاشم فقال للنبي يوماً يا رسول الله إن قريشاً إذا التقوا لقى بعضهم بعضاً بالبشاشة وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب رسول الله عند ذلك غضباً شديداً ثم قال والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله[2] . وفي حديث آخر أما أن الإيمان لا يدخل أجوافهم حتى يحبوكم لي[3] .

وهذه أم الفضل زوجة العباس تبكي فوق رأسه عند مرضه فقال : ما يبكيك ؟

قالت : خفنا عليك وما ندري ماذا نلقى بعدك من الناس .

قال : أنتم المستضعفون بعدي : وفي لفظ ابن سعد أنكم مقهورون مستضعفون بعدي[4] .

وهذا البغض والحسد لأهل البيت قد أوضحه الخليفة الثالث للإمام علي

---

(١) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ .

(٢) المعرفة والتاريخ ١/٢٩٥ـ ٤٩٧ـ ٤٩٩ أسد الغابة ٣/١٦٥ مسند أحمد ٤/١٦٤ تحفة الأحوذي كتاب المناقب ١٠/٢٦٣ البداية والنهاية ٢/٢٥٦ مستدرك الحاكم ٣/٣٣٣، مجمع الزوائد ٩/٦٩، حياة الصحابة ٢/٤٨٧ . راجع سنن ابن ماجد المقدمة ح ١ ج ١/٥٠، الترمذي ٥/٦٥٣ ، تاريخ المدينة ٢/٢٣٩، النهاية لابن الأثير ٣/٥٧ .

(٣) تاريخ المدينة ٢/٦٤٠ .

(٤) مسند أحمد ٦/٣٣٩، طبقات ابن سعد ٨/٢٧٨، أنساب الأشراف ١/٥٥١، الخصائص الكبرى ٢/١٣٥ .

(ع) بعد أن دافع عنه وعرّض ولديه سيّدي شباب أهل الجنة للخطر والقتل عند ما أمرهما بالدفاع عن عثمان لمّا قامت الثورة ضده وحاصره المسلمون ومع ذلك نرى عثمان يصرح للإمام بما هو لسان حال قريش .

قال له : ما أصنع إن كانت قريش لا تحبكم وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأن وجوههم شنوف الذهب تصرع أنافهم قبل شفاههم [١] .

نعم إن قريشاً لا تحب أهل هذا البيت حسداً وبغياً وخاصّة أن قريشاً كانت تمثل الاستقراطية العربية وقمة الحسد العربي ومن هنا أمعنت في الكيد لهذا البيت واستخدمت كل وسيلة للقضاء عليهم ومنعهم عن حقهم وتشريدهم وقتلهم تحت كلّ حَجَرٍ ومدرٍ ولو أنّ النبي أمرهم بذلك لما فعلوا عشر معشار ما فعلوه بأهل البيت بعد وصية النبي بهم وجعلهم عدل القرآن وقد بين هذه الحقيقة الإمام علي في جواب كتاب أخيه عقيل عندما قال : ألا وأن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم اجتماعها على حرب النبي (ص) قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحدوا فضله وبادوه العداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وجرّوا عليه جيش الأحزاب . اللّهم فأجز قريشاً عنّي الجوازي فقد قطعت رحمي وتظاهرت علي ودفعتني عن حقي وسلبتني سلطان ابن أمي وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال [٢] .

فانظر أيها المسلم كيف أن كل زعيم يعيش أبناؤه على اسمه ويحترمهم الناس وتقدرهم الشعوب إلى عدة أجيال وإن لم يكونوا يحملون القيم والمثل

---

(١) شرح النهج ٩/٢٢ ، نثر الدر ٢/٦٨ . قالت زوجة عقيل بن أبي طالب له وهي إبنة عتبة : يا بني هاشم لا يحبكم قلبي أبداً أين عمي ؟ أين أخي ؟ كأن أعناقهم أباريق فضة ترى آنافهم الماء قبل شفاههم قال عقيل لها : إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك شرح النهج ١١/٢٥٢ .

(٢) الغارات ٢/٤٣١ نهج البلاغة باب الكتب رقم ٣٦ .

التي ترفع الإنسان إلّا أنّ زعيم البشرية وخاتم الأنبياء ومصباح الإشراق الذي يتوقد بالنور والهداية في تاريخ الإنسانية المظلم وحامل لواء التوحيد وحامي مستضعفي العالم لم يحظ بالاحترام في عترته فانظر إلى ابنته وهي سيدة نساء العالمين كيف تبكي خوفاً من الضياع بعد أبيها وخوفاً من ذؤبان العرب الذين حطّم فيهم أبوها (ص) عروش القبلية وروح الجاهلية وبعلها الذي قام الإسلام على سيفه وأخضع به كل قبيلة وعشيرة من أجل إعلاء كلمة الإسلام والحق في الأرض .

وهذا التخوف من النبي (ص) على أهله تحقق بلا فاصلة بعد أن أغمض النبي (ص) عينيه وانتقل إلى الرفيق الأعلى حيث تركه أصحابه وانصرفوا إلى المنازعة والمشاجرة على الخلافة .

وحديث السقيفة خير شاهد على ما جرى بينهم وهو مما يندى له جبين الإنسانية ويتنزّه عنه كل شريف وقد بقي النبي (ص) ثلاثة أيام مسجى بين أهل بيته إلى أن دفنوه في الليل أو في آخره ولم يله إلّا أقاربه ولم يعلم به القوم إلّا بعد سماع صريف المساحى وهم في بيوتهم في جوف الليل وقد تقدم ذلك عن عائشة[1] . وقد علق ابن أبي الحديد على الحديث المتقدم بقوله فمن العجب كون عائشة وهو في بيتها لا تعلم بدفنه حتى سمعت صوت المساحي أتراها أين كانت ؟[2] .

قال الشيخ المفيد في الإرشاد : ولم يحضر دفن رسول الله كثير من الناس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة وفات أكثرهم الصلاة عليه وأصبحت فاطمة تنادي واسواء صباحاه فسمعها الخليفة

---

(١) البداية والنهاية ٥/٢٧١، تاريخ أبي الوفاء ١/١٠٢، طبقات ابن سعد ٢/٣٠٤-٣٠٥، سنن ابن ماجه ١/٤٩٩، مسند أحمد ٦/٢٧٤، سيرة ابن هشام ٤/٣٤٤، الغدير ٧/٧٥، تاريخ الخميس ١/١٩١، تاريخ الذهبي ١/٤٢٧، وعبارة أحمد في مسنده ٦/٢٤٢ ما علمناه أين يدفن حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء .

(٢) شرح النهج ١٣/٤٠.

الثاني فقال لها : إن صباحك لصباح سوء[1].

ولم يشهد الشيخان دفنه[2]. قال الطبري وقيل إنما دفن بعد وفاته بثلاثة أيام اشتغل القوم عنه بأمر البيعة[3].

وقد اعتذر النووي عن عدم حضور الشيخين في شرحه لصحيح مسلم بن الحجاج المطبوع بحاشية إرشاد الساري بقوله : «وكان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين وخافوا في تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة ولهذا أخّروا دفن النبي»[4]. قال الطبري : إن أبا بكر جاء بعد ثلاث إلى رسول الله وقد إربد بطنه[5].

وبعد البيعة وامتناع بني هاشم عنها وتحصّنهم في دار الزهراء بعث إليهم الخليفة الأوّل عمر بن الخطاب وقال له : إن أبوا فقاتلهم ، فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت : يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا قال نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة[6] ، ثم علا صوته بعد التهديد ، وكشفه لدار الزهراء وقوله : والله لتحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة أو لأُحْرقنّها على من فيها فقيل له : يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة فقال : وَإنْ ![7].

بعد هذا التهديد والهجوم على دار الزهراء وإرعاب بضعة الرسول التي

---

(١) الإرشاد ص ١٠١ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/٥٦٨ كنز العمال ٣/١٤٠ .

(٣) شرح النهج ١٣/٣٥ .

(٤) إرشاد الساري ٧/٣٤٥ .

(٥) شرح النهج ١٣/٣٦ .

(٦) العقد الفريد ٤/٢٥٩ ، تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦ ، أعلام النساء ٣/١٢٠٧ .

(٧) الإمامة والسياسة ١/١٣ ، تاريخ الطبري ٣/٢٠٢ ، شرح النهج ٣/١٤٧ ، أعلام النساء ٣/١٢٠٥ ، تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧/١٦٤ ، كنز العمال ٥/٦٥١ .

كـان النبي (ص) إذا سافـر كان آخـر عهده بـإنسان من أهله فـاطمـة وأوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة .

وكان يقول : فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني ويـريبني ما أرابهـا ويؤذيني ما آذاها [١] .

وقوله (ص) لها : إن الله يغضب لغضبك ويـرضى لرضـاك ، وفي عبارة الكنز : إن الله (عز وجل) يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها [٢] .

وقوله (ص) : من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفهـا فهي بضعة مني هي قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاهـا فقـد آذاني [٣] . وعن عـائشـة أم المؤمنين قـالت ما رأيت أحـداً من خلق الله أشبه حـديثاً بـرسول الله (ص) من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها وأجلسهـا في مجلسه وكـان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها [٤] .

بعـد هذه المعـاملة لإبنة سيـد الأنبياء وخـاتمهم ، وهذا العـداء الجبـان خرجت بضعة الرسول (ص) وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها يا أبت يا رسـول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة [٥] .

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/١٥٣ ، أسد الغابة ٥/٢٢ ، تهذيب التهذيب ١٢/٤٤١ ، كنز العمال ٦/٢١٩ ، ميزان الاعتدال ٢/٧٢ ، ذخائر العقبى ص ٣٩ ، الإصابـة ٨/١٥٩ ، سنن أبي داود ٤/٨٧ باب ما جاء به الانتفاع بالعـاج ، مسند أحمـد ٥/٢٧٥ ، مستدرك الحـاكم ١/٤٨٩ ، الصواعق المحرقة ١٠٩ .

(٢) صحيح البخاري باب ذب الرجل عن ابنته ، مسند أحمد ٤/٣٨٢ ، حلية الأولياء ٢/٤٠ ، صحيح مسلم ـ باب فضائل فاطمة ، صحيح الترمذي ٢/٣١٩ ، مستدرك الحـاكم ٣/١٥٨ ، كنز العمال ٦/٢١٩ ، الصواعق المحرقة ١٠٧ .

(٣) مستدرك الحاكم ٣/١٥٤ ، ذخائر العقبى ص ٣٩ ، تذكرة الخـواص ١٧٥ ، شرح المـواهب للزرقاني ٣/٢٠٢ ، تهـذيب التهذيب ١٢/٤٤٣ ، ينـابيـع المـودة ١٧٣ ، الغـديـر ٣/٢٠ و٧/١٧٤ .

(٤) العقد الفريد ٣/٢٣١ .

(٥) الإمامة والسياسة ١/١٣ ، أعلام النساء ٣/١٢٠٦ ، الإمام علي (ع) لعبد الفتـاح مقصود ١/٢٥٥ ، الغدير ٧/٧٧ .

وهذه الجرأة على بضعة الرسول لم تقف عند هذا الحد من إرغام من احتمى في بيتها على البيعة بل عمد الخليفة الأول إلى مصادرة جميع أموالها التي أعطاها إيّاها الرسول الأعظم ومنعها من إرث أبيها بخبر لم يروه أحد من المسلمين غيره . ومنعها من إرث أبيها خلاف نص القرآن والقوانين والأعراف البشرية ، كما سيأتي بيانه .

ومن هنا اعتزلت بضعة الرسول الناس واتخذت بيتاً للأحزان كانت تبكي فيه لما أصابها من ظلم السلطة الغاصبة لحق زوجها واغتصابها حقها ومنعها من إرث أبيها وتظاهر الناس عليها. غضبت الزهراء التي يغضب الله لغضبها ومنعت القوم من الدخول عليها فمنعت عائشة أن تدخل عليها فضلاً عن أبيها فجاءت لتدخل عليها فمنعتها أسماء بنت عميس وقالت : لا تدخلي فشكت إلى أبيها أبي بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي (ص) أن يدخلن على بنت رسول الله (ص) وقد صنعتِ لها هودج العروس ؟ قالت : هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأمرتني أن أصنع لها ذلك[1] .

وبعد هذا المنع حاول القوم أن ير ضوا الزهراء .

فقال أبو بكر لعمر : انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام .

فتكلم أبو بكر فقال يا حبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي وإنك لأحب إليّ من عائشة إبنتي ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك

---

(١) الاستيعاب ١٨٩٧/٤ ، ذخائر العقبى ٥٣ ، أسد الغابة ٥٢٤/٥ ، تاريخ الخميس ٣١٣/١ ، كنز العمال ١١٤/٧ ، شرح صحيح مسلم للسندسي ٢٨١/٦ ، شرح الآبي لمسلم ٢٨٢/٦ ، أعلام النساء ١٢٢١/٣ .

وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أباك رسول الله يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة فقالت : أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة إبنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله .

قالت : فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولأن لقيت النبي (ص) لأشكونكما إليه .

فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ، ثم انتحب يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق ، وهي تقول : والله لأدعُونّ عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم : يبيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي[1] .

وهذه الحقيقة لا يمكن لأحد أن ينكرها لأن الخليفة الأول عندما جاءه الموت وكان في حال احتضار ـ وفي مثل هذه الحال يتراجع الإنسان ويندم على ما فرط في جنب الله ولكن ولات حين مناص ـ في تلك الحالة نرى الخليفة يظهر ندامته على هذا الفعل العظيم الذي ارتكبه ضد بضعة المصطفى التي ماتت وهي غاضبة عليه وغضبها هو غضب الله وغضب رسوله ، وقد قال تعالى ﴿**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾[2] .

روى كبار العلماء منهم أبو عبيد والطبري وابن قتيبة والمسعودي عن عبد الرحمن بن عوف أنّ أبا بكر الصديق قال في مرض موته :

إني لا آسي على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت عنهن

---

(١) الإمامة والسياسة ١/١٤، رسائل الجاحظ ص ٣٠١ أعلام النساء ٣/١٢١٤.
(٢) سورة التوبة: ٦١.

رسول الله (ص) .

فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب . . . ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً . . . الحديث [١] .

وهذا الحديث صحيح لأن كل رواته من الثقات وفيهم أربعة من رجال الصحاح الست .

هكذا عاشت الزهراء بعد أبيها الذي وحّد كلمة العرب وجمع شملهم وجعلهم قوة عظيمة في تاريخ البشرية وحوّلهم من رعاة الإبل إلى ملوك الأرض بعد هذه العظمة التي أسسها للعرب نجد أنّ العرب أظلم شعوب العالم لظلمهم للعترة وعدم حفظ نبيهم فيها على خلاف عادات الشعوب والأمم حيث إنّ كلّ أمة تحترم زعيمها الدنيوي فكيف بنبيّها إلاّ العرب ، فما أن غادر النبي (ص) هذه الدنيا الفانية حتى افترسوا أهل بيته وعاملوهم بأشد أنواع الظلم والإضطهاد .

وقد بيّن الإمام علي (ع) ما لاقت الزهراء من الظلم والإضطهاد وما تحملت من الحزن والأذى فقال عند دفنها : «وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً . . . فبعين الله تدفن ابنتك سراً وتهضم حقّها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء» [٢] .

---

(١) الأموال لأبي عبيد ١٧٤ ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٣٠ الإمامة والسياسة ١ / ١٨ ، مروج الذهب ٢ / ٣٠١ ، العقد الفريد ٢ / ٢٥٤ ، كنز العمال ٥ / ٦٣١ طبع حلب ، شرح النهج ٢ / ١٣١ ، لسان الميزان ٤ / ١٨٩ ، تاريخ الذهبي ١ / ٣٨٨ ، عبدالله بن سبأ ١ / ١٠٦ .

(٢) مرآة العقول ٥ / ٣٢٩ ، أصول الكافي ١ / ٤٥٩ ، نهج البلاغة ـ خطبة ٢٠٢ .

وقد بيّنت الزهراء (ع) الظلم الذي حل بها حينما دخل عليها في مرضها نساء رسول الله (ص) وغيرهن من نساء قريش فقلن لها كيف أنت ؟

قالت أجدني والله كارهة لدنياكم مسرورة لفراقكم ألقى الله ورسوله بحسرات منكن فما حُفِظ لي الحق ولا رُعيت منّي الذّمة ولا قُبلت الوصية ولا عُرفت الحرمة[1].

ومن هنا نجد الزهراء وهي بضعة الرسول بعد أن قطعت الأمل من القوم أخذت تدعو عليهم في كل صلاة وماتت وهي غاضبة عليهم كما سيأتي ، وأوصت أن تدفن ليلاً وأن لا يحضروا جنازتها فدفنت (ع) ليلاً وأُخفي قبرها ولم يعلم القوم بذلك إلاّ بعد دفنها . عن أُم المؤمنين عائشة أن علياً دفن فاطمة (رضي الله عنها) ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر[2].

وهنا أترك المجال للقارى الكريم كي يحكم على أبي بكر ما حكم به البخاري من حيث لا يدري فقد روى البخاري عن رسول الله (ص) أنه قال فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله[3] ثم يروي البخاري نفسه باب فاطمة (ع) ماتت وهي غاضبة على أبي بكر فلم تكلمه حتى ماتت[4] فهذه شهادة من الإمام البخاري بأن الله ورسوله غاضبان علي أبي بكر .

لقد كانت وصية الزهراء هذه ضربة محكمة في وجه أعداءها الذين سيطروا على الأمور وسطّر أتباعهم التاريخ على حسب شهواتهم وأغراضهم ، فإنّها (ع) جعلت أمام الباحث عدة تساؤلات لا بدّ أن نكشف عنها من خلال دراستنا لهذا الموضوع .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١١٥ . شرح النهج ١٦/٢٣٣ معاني الأخبار للصدوق ص ٣٥٤ فراجع .

(٢) تاريخ المدينة لابن شبه ١/١١٠ .

(٣) صحيح البخاري ٤/٢١٠ .

(٤) صحيح البخاري ٥/٨٢ وج ٨/٣ .

(أ) : لماذا أوصت أن تدفن ليلاً وهي سيدة نساء العالمين وبضعة المصطفى وزوجة المرتضى بطل الإسلام والمكافح عن وجه رسول الله ووالدة سيّدي شباب أهل الجنة ؟

(ب) : لماذا تدفن سرّاً مع أنّ العادة قاضية بأن يصلّي عليها الخليفة ؟

(ج) : لماذا أوصت أن لا يحضر جنازتها الخليفة الأول والثاني خاصة ؟

إن الجواب على هذه التساؤلات يكشف لنا الكثير من الخفايا التاريخية وهذه المسألة لها كمال الارتباط بموضوع دفن النبي والحجرة التي دفن فيها .

وصية الإمام الحسن وموضع دفن النبي :

ثم إنّ مسألة وصية الإمام الحسن (ع) بأن يدفن مع جده لا تقل أهمية عن وصية أمّه الزهراء ولذا أرى أنّ موقف الإمام الحسن كموقف أُمّه الزهراء يرتبط تمام الإرتباط بهذه المسألة .

وسوف يتضح للقارى الكريم الكثير من الأُمور التي أخفاها التاريخ عن عمد ويطّلع أيضاً على أبشع أنواع الظلم الذي استخدم ضد أهل البيت (ع) وهم باب حطة الذي امتحن الله تعالى بهم هذه الأُمة ومن هنا لا بدّ أن نبيّن موقف الإمام الحسن ووصيته في المقام حتى تتضح لنا المسألة وتظهر النتيجة الصحيحة لهذا البحث .

من المسلّم تاريخياً عند الشيعة والسنة أنّ الإمام الحسن (ع) أوصى بأن يدفن عند جدّه رسول الله (ص) وقد منعت من ذلك عائشة وبنو أُمية وهذا المنع من أُمّ المؤمنين لم يكن إرتجالاً ولا أنه وليد الساعة وإنّما هو حصيلة حسدها وبغضها لأهل ذلك البيت وهذا ما يلزمنا أن نتناول الموضوع من جميع أطرافه كي يسفر لنا صبح الحقيقة من خلال ظلمات التاريخ التي حجبت كثيراً من الحقائق ولم يبق منها إلاّ بصيص من النور .

موقف أُم المؤمنين من الرسول وأهل بيته :

مما لا شك فيه أن الباحث لا يكتفي بسرد تلك الأحداث بل لا بدّ له من إلقاء الأضواء على موقف أُمّ المؤمنين من صاحب الرسالة وأهل بيته .

والذي لا شك فيه أن التاريخ قد جعل أُمّ المؤمنين أفضل نساء النبيّ (ص) وأحبّ الخلق إليه وليس هذا أمراً مستغرباً فإنّ التاريخ كان بيد المخالفين لأهل البيت كما قلنا ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وهو الناموس الإلهي الذي لا يأتيه الباطل ولا يشك فيه إلّا كافر نجده صريح بتظاهر أُم المؤمنين عليه ففي سورة التحريم :

﴿وإذا أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلمّا نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلمّا نبّأها به قالت : من أنبأك هذا قال : نبّأني العليم الخبير ، إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[1] .

هذه الآيات المباركة تدل على أنّ النبيّ (ص) أسرّ إلى بعض أزواجه بحديث وطلب منها أن تكتمه فأفشت ذلك السّرّ .

هذا خلاصة ما تدل عليه الآية وهي لا تبيّن هذا السّر الذي أفشى النبيّ بعضه وكتم بعضه .

والروايات لا تتعرض لهذا الأمر أيضاً وما ورد من الروايات في تفسير الآية مختلف ومتعارض في واقعة واحدة ولا يظهر منه وجه لانطباق تلك الروايات على الآية المباركة ، وهذه المسألة مما كتمها التاريخ على المسلمين ، إلّا أنّ لحن الآيات يدل على أنّ ذلك الأمر كان مهماً جداً .

ولذا تجد أنّ الله تعالى يهدّد نساء النبي (ص) اللاتي تظاهرن عليه بأنّه هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة .

---

(١) سورة التحريم : ٣ ـ ٤ .

كما أنّه هدّدهن بالطلاق أيضاً وأنّه سيبدله بأزواج خير منهنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكاراً .

وهذه الأوصاف تدل على أنّها غير موجودة في أزواجه اللاتي تظاهرن عليه .

وقد أجمع المفسرون والمحدثون على أنّ اللاتي تظاهرن على رسول الله من أزواجه هما عائشة وحفصة فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم من أصحاب الصحاح وأئمة الحديث عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي (ص) اللتين قال الله تعالى : **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾** حتى حج وحججت معه وعدل وعدلت معه بأدواة فتبرّز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبيّ (ص) اللتان قال الله تعالى : **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾** قال واعجباً لك يا بن عباس هما عائشة وحفصة ، الحديث[1] .

والتظاهر منهما على رسول الله الذي فيه تهديد وأنَّ الله سوف يتولّاه ويمدّه بالملائكة وجبريل وصالح المؤمنين يدل على عظمة الخيانة ولا نرى أنّ الله تعالى أيّد رسوله بهذا الشكل في غير هذا المورد ، ففي سورة المائدة الآية (٦٧) يقول :

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ فإنّ الله يأمر

---

(١) صحيح البخاري ٣/١٧٤ و٦/١٩٥ و٧/٣٦، مسند أحمد ١/٤٣ـ٤٨، تفسير ابن كثير ٤/٣٨٩، تفسير الرازي ٣٠/٤٣، تفسير الطبري ٢٨/١٠٤، أحكام القرآن لابن العربي ٤/٢٣١، السيرة الحلبية ٣/٣١٦، صحيح الترمذي ٢/٢٣١، سنن البيهقي ٧/٣٧، طبقات ابن سعد ٨/١٣٨، كنز العمال ١/٢٠٩، سنن الدارقطني كتاب الطلاق ص ٤٤٢ . مسند أبي يعلي ١/١٦٢ .

النبي (ص) أن يبلغ الذي أنزله إليه ولم يبلغه تحاشياً من الناس وهو أمر مهمّ جداً حتى أنّ الله تعالى جعله بمنزلة رسالة النبيّ (ص) لأنّه قال : **﴿وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾** فإنّ هذا الأمر مساوٍ للنبوة وإن لم يبلغه النبي لذهبت زحماته وأتعابه وكأنه لم يبلّغ رسالة ربّه .

ومن عظمة هذا الأمر نجد أنّ الله تعالى يأمره ويتعهد بحفظه من الناس وهم المجتمع المدني وبالخصوص من المنافقين ، وأمّا عندما يتكلم عن عائشة وحفصة وهما فردان نجد أنّ الله تعالى والملائكة وجبريل وصالح المؤمنين يتعهدون النبيّ (ص) .

فلا بدّ أن يكون أمرهما أخطر من المجتمع العربي وهذا ما يفهم من القرآن ، وقد أخفى التاريخ هنا حقيقة الأمر ، ولو أمعنا النظر في آخر السورة المباركة نجد أنّ قوله تعالى ـ **﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾** الآية ١٠ ـ تشير إلى حقيقة أخرى أخفاها التاريخ .

قال الزمخشري في الكشاف في تفسير هذه الآية الكريمة : وفي طيّ هذين التمثيلين تعريض بأُمّي المؤمنين (يعني بهما حفصة وعائشة) المذكورتين في أول السورة وما فرّط منهما من التظاهر على رسول الله (ص) بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من الكفر .

قال : ونحوه في التغليظ قوله تعالى : **﴿ومن كفر فإنّ الله غنّى عن العالمين﴾** قال : وأشار إلى أنّ من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال منه كمثل هاتين المؤمنتين وأنْ لا تتكلا على أنّهما زوجا رسول الله (ص) فإنّ ذلك الفعل لا ينفعهما إلّا مع كونهما مخلصين والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله (ص)[1] .

---

(١) تفسير الكشاف ٤/٥٦٣ .

وقال الفخر الرازي في تفسيره :

«وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بإمّي المؤمنين وهما حفصة وعائشة لما فرّط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر»[١] . والسر الذي أفشته حفصة هو أن رسول الله خلا بمارية القبطية في يوم عائشة وعلمت به حفصة فقال لها اكتمي عليّ وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك بأن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين[٢] .

إنّ التأمل في هذه الآيات المباركة لا يسمح لنا بتركها والتمسك بروايات لا تغني عن الحق شيئاً ، وأنّ الخيانة التي صدرت منهما كانت عظيمة ولذا مثل لهما بامرأة «نوح ولوط» وهذه الخيانة لم يرد لها تفسير تطمئنّ له النفس وقد ذهب بعض المفسرين إلى كفرهما كما صرّح بذلك يوسف الأمالي[٣] .

ويستشم ذلك من كلام الرازي والزمخشري وتعبير المفسرين بالتعريض بأمّي المؤمنين إنّما هو نوع من الإحترام والأدب في حقهما .

وأما عثمان فلم يكن على هذا الإحترام والأدب معها فحينما أشعلت عائشة نار الحرب عليه وأخرجت شعرة من شعرات رسول الله (ص) ونعله وثيابه وقالت : ما أسرع ما نسيتم سنّة نبيكم قال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتى ما كان يدرك ما يقول[٤] . وعندما ضرب عثمان عمار قالت له عائشة إنك بريء من صاحب هذه الحجرات فقال عثمان من لي بهذه الحميراء إنها لمن شر بيت من قريش[٥] .

---

(١) تفسير الرازي ٤٩/٣٠، روح المعاني ١٦٣/٢٨ .
(٢) تاريخ الخميس ١٢٢/٢ .
(٣) تفسير روح المعاني ١٦٣/٢٨ .
(٤) البدء والتاريخ ٢٠٥/٥ .
(٥) الأوائل لأبي هلال العسكري دار المعرفة ص ١٣٣ .

قال اليعقوبي : كان عثمان يخطب إذ دلّت عائشة قميص رسول الله ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنّته وكانت تقول اقتلوا نعثلا ، وفي لفظ الطبري اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1].

بعد هذه الحرب التي شنّتها أُمّ المؤمنين وتحريضها على قتل عثمان قرأ عليها عثمان هذه الآية : **﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾**[2].

إنّ موقف عثمان وقراءته هذه الآيات بعد تكفيره وتحريض الناس على قتله من أُمّ المؤمنين يدل على عظم تلك الخيانة التي كان عثمان يعلمها ، وقد أخفاها التاريخ عنا وهذا التعاضد بين حفصة وعائشة لم يدم بعد رسول الله (ص) حيث كانتا في عهده كما في عبارة ابن سعد يداً واحداً وحزباً واحداً تتزعمه عائشة ضدّ حزب أُمّ سلمة كما في صحيح البخاري[3].

وهذا الحب بينهما وتظاهرهما على رسول الله تحول إلى فراق وتباغض إلى آخر حياتهما .

قال ابن قتيبة : من المتهاجرين عائشة كانت مهاجرة لحفصة حتى ماتتا[4].

كانت عائشة بالإضافة إلى تظاهرها على رسول الله سيّئة الخلق معه لا تحترمه فكانت ترفع صوتها فوق صوت رسول الله حتّى ضربها أبو بكر وقال لها

---

(١) فتوح أعثم ٢/٢٥٥، تاريخ الطبري ط القاهرة سنة ١٣٥٧ ٤/٤٧٧، شرح النهج لعبد الحميد ٢/٧٧، نهايةابن الأثير ٤/١٥٦. راجع القصة في شرح النهج ١٦/٢٢٠ـ ٢٢٣، تاريخ الطبري ٤/٤٠٧ الكامل ٣/٢٠٦، لسان العرب ١٤/١٩٣، تاج العروس ٨/١٤١، العقد الفريد ٤/٢٩٠.

(٢) فتوح أعثم ٢/٢٥٥، بحر المعارف ص ١٤٦.

(٣) صحيح البخاري ٣/٢٠٤، طبقات ابن سعد ٨/٩٤ـ١٧٠.

(٤) المعارف ٥٥٠.

يا ابنة أُمّ رومان أترفعين صوتك على رسول الله (ص) فحال النّبيّ بينهما [١].

وقد تمادى بهـا سوء الأدب وعـدم احترام رسـول الله كما تُحـدّثنا هي ، قـالت : كنت أنام بين يـدي رسول الله ورجـلاي في قبلته فـإذا سجد غمـزني فقبضت رجلي فـإذا قام بسـطتها[٢] . وكـانت أيضاً تنـال كثيراً من أُمّ المؤمنين خديجة حتّى تغضب رسول الله (ص)[٣].

ومن هنا كان رسول الله (ص) يتمنّى أن تموت عائشة في حياته ويـدفنها ويصلّي عليها كما تقدم ، ففي عبارة ابن سعـد وددت أنّ ذلك يكـون وأنا حيّ فأُصلّي عليك وأدفنك[٤].

هكذا كان موقفها مع النبيّ ومع بضعته الزهراء ، فقد كـان لها دور كبيـر في دعم أبيها عندما صادر أموال الزهراء ، حتّى غضبت عليها الزهراء ومنعتهـا من الدخول عليها كما مرّ .

وأمّا موقفها من الإمام فـإنّه أشهـر من كفر إبليس فهي الّتي قـادت حرب الجمـل وسفكت الدمـاء وجرّت المسلمين إلى القتـل والفناء من أجـل بغضها لعلي مـع أنّ النبيّ (ص) قد حـذّرها وأخبـرها بـأنّهـا ستحـارب عليّـاً وهي لـه ظالمة .

---

(١) مسند أحمد ٤/٢٧٢، سنن أبي داود ٤/٣٠٠ـ باب ما جاء في المزاح، طبقـات ابن سعد ٨/٨١.

(٢) موطأ مالك ١/١٠٦، ورواه الطنطاوي في مشكل الآثار ـ بـاب المرور بين يـدي المصلي ، صحيـح البخاري ١/١٣٧ كتـاب الصلاة بـاب التطوع خلف المـرأة ، وأخرجـه مسلم وأبو داود والإمام أحمد في مسنده ٦/٤٤ـ ٥٥ـ ١٤٨ـ ٢٢٥ـ ٢٥٥ .

(٣) راجع الروض الآنف ١/٢٧٧ الاستيعـاب ٤/١٨٢٣ مسند أحمـد ٦/٥٨ـ ٢٠٢ـ ٢٧٩ صحيح البخاري كتاب النكاح باب غيرة النساء صحيح مسلم كتـاب فضائـل خديجـة البداية والنهاية ٣/١٢٨ مجمع الزوائد ٩/٢٢٤ .

(٤) تـاريخ الـطبـري ٣/١٨٨ـ١٨٩، سيـرة ابن هشـام ٤/٢٩٢، طبقـات ابن سعـد ٢/٢٠٥ـ٢٠٦، الـدرة الثمينة في أخبـار المـدينـة ص ٣٨٣، مسنـد أحمـد ٦/١٤٤، سنن الدارمي ١/٣٧ـ٣٨ .

فقال لها يوماً في محضر نسائه : ليت شعري أيّتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب فتقول : ردوني ، وضرب على ظهرها ، وقال : إيّاك أن تكونيها يا حميراء .

وفي العقد الفريد : يا حميراء كأنّي بك تنبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة[1] .

وحينما خرجت عائشة على الإمام لم تكن تجهل أنّها باغية وخارجة على تعاليم الإسلام ووصايا زوجها العظيم الذي حذرها مراراً . وقد حذر أزواجه عام حجة الوداع حيث قال لهن هذه ثم ظهور الحصر (أي هذه هي الحجة الأخيرة ثم الجلوس في البيت) فإذا كان الحج لا يجوز لهن فكيف بغيره[2] .

ومع ذلك فقد ذهبت إلى أُمّ سلمة تطلب منها الخروج معها لمحاربة عليّ وقد جرت بينهما محاورة هي من أروع ما نقله التاريخ تظهر فيها أُمّ سلمة في قمة العقل والدين الراسخ والطاعة لله ولرسوله وعلى العكس من ذلك عائشة .

قالت لها أُمّ سلمة : لقد سمعت رسول الله يقول عليّ خليفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني ، أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا ؟ فقالت عائشة : اللّهم نعم .

قالت أُمّ سلمة فاتّقِ الله يا عائشة في نفسك واحذري ما حذّرك الله ورسوله ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب .

---

(١) العقد الفريد ٤/٣١٦ـ٣٣٢ شرح النهج ٦/٢١٧ ، أنساب الأشراف تحقيق الشيخ المحمودي ترجمة الإمام ص ٢٢٤ ، الكامل لابن الأثير ٣/٢١٠ ، مصنف عبد الرزاق ١١/٣٦٥ ، تاريخ الطبري ٢/٤٥٧ ، السيرة الحلبية ٣/٢٨٥ ، فتوح أعثم ٢/٢٨٧ ، المحاسن والمساوي ص ٤٩ ، مستدرك الحاكم ٣/١١٩ ، كنز العمال ٦/٨٤ ، المعيار والموازنة ص ٢٨ ، معاني الأخبار ٣٧٥ .

(٢) مسند أبي يعلي ح ١٤٤٤ مسند أحمد ٥/٢١٨ـ٢١٩ سنن أبي داود المناسك ح ١٧٢٢ .

وبعد هذه النّصيحة وهذا التذكير من أُمّ سلمة خرجت عائشة من عندها وهي حنقة عليها[١].

فلمّا خرجت لمحاربة الإمام حلفت أُمّ سلمة ألّا تكلّمها أبداً فلمّا رجعت عائشة من حرب الجمل دخلت على أُمّ سلمة فقالت عائشة السّلام عليك يا أُمّ المؤمنين .

فقالت أُمّ سلمة يا حائط ألم أنهك ألم أقل لك ؟! فقالت عائشة فإنّي أستغفر الله وأتوب إليه كلّميني يا أُمّ المؤمنين ؟ قالت : يا حائط ألم أقل لك ؟ ألم أنهك فلَم تكلّمها حتى ماتت[٢].

نعم خرجت عائشة تقود المسلمين في أول حرب بينهم لمحاربة علي فلمّا فشلت وهزمت وقبض عليها الإمام رفق بها وأحسن إليها ولم يسمح لأحد أن يطالها بأذى وأرجعها إلى المدينة على كرامتها الأولى ولو أنّها خرجت على عمر كما خرجت على الإمام عليّ (ع) وسفكت الدماء وانتهكت الحرمات لمزقها عمر إرباً إرباً كما يقول ابن أبي الحديد[٣]. مع أن الإمام لما ظفر بها يوم الجمل دنا من هودجها فقالت له ملكت فأسجح (أي ظفرت فأحسن) فجهزها بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة وقال بعضهم سبعين حتى قدمت المدينة[٤].

وهذا الحقد والبغض لأهل البيت قد شبّت عليه وجرى في عروقها مجرى الدم فلم تعرف للإمام ذلك الجميل وتلك النعمة العظيمة وهي نعمة الحياة التي منّ بها عليها يوم الجمل مع أنه كان قادراً على قتلها لما سفكت من الدماء الطاهرة والنفوس الطيبة فهي لم تعرف هذه النعمة ولم تقابل الإحسان بالإحسان وكم كان لها من الفرح والسرور عندما سمعت باستشهاد

---

(١) فتوح أعثم ٢ / ٢٨٣ ، شرح النهج ٦ / ٢١٧ ، المعيار والموازنة ص ٢٧-٢٩ .
(٢) المحاسن والمساوي للبيهقي ص ٢٩٧-٢٩٨ .
(٣) شرح النهج ، ١٧ / ٢٥٤ .
(٤) العقد الفريد ٣ / ١٠٤ .

الإمام وقد أدى بها الفرح إلى الترنم بالأشعار وسجدت لله شكراً[1] وأظهرت الشماتة وأنشدت قول البارقي :

وألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

ثم قالت : من قتله ؟ فقيل رجل من مراد ، فقالت :

إن تك ناعياً فلقد نعاه نعي ليس في فيه تراب

ثم قالت : ربّ قتيل الله بيدي رجل من مراد .

قالت زينب (بنت أُمّ سلمة) : فقلت : سبحان الله يا أُمّ المؤمنين أتقولين مثل هذا لعلي في سابقته وفضله ؟

فضحكت وقالت : بسم الله إذا نسيت فذكّريني[2] .

وهنا كلمة عظيمة يرويها صاحب الاستيعاب قال : لما علمت عائشة بشهادة علي (ع) قالت فلتصنع العربُ ما شاءت فليس أحد ينهاها[3] .

وهذه أعظم كلمة رأيتها في حق الإمام علي من ألد أعدائه وهي وإن كانت لا تريد مدح الإمام ولا يدور ذلك في خلدها إلا أنها بينت عظمة الإمام من حيث لا تشعر فقد بينت منزلة الإمام وأنه قطب الرحى الذي تدور عليه رحى الإسلام وهو المدافع والمحامي عن الإسلام واللاجم لقريش كي لا تخرج من الإسلام وقد بينت أُم المؤمنين بهذه الكلمة قلة دينها ودين الصحابة الذين كانوا على شاكلتها وأنهم كانوا يتربصون بعلي من أجل أن تخلو لهم الساحة كي يتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً والإسلام قنطرة يعبرون عليها

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص ٤٣ .

(٢) أنساب الأشراف ترجمة الإمام تحقيق المحمودي ص ٥٠٥ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٢ ، طبقات ابن سعد ١٤٠/٣ ، الكامل ١٥٧/٣ ، الطبري ٨٧/٦ ، الموفقيات للزبير بن بكار ص ١٣١ .

(٣) الاستيعاب على حاشية الإصابة في معرفة الصحابة ج ٥٧/٣ .

إلى مصالحهم وشهواتهم .

لم يقف حقد أُمّ المؤمنين لأهل البيت عند الآباء بل تعدى الأمر بها إلى الأبناء وهذا أشد ما يصل إليه البغض فإذا أبغض الإنسان شخصاً أبغض معه كل من يلوذ به وهذا ما دعى أُمّ المؤمنين إلى أن تتحجب عن سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين كما يحدثنا ابن سعد (١) .

وقد علّق الأستاذ السيد سعيد الأفغاني على موقف عائشة هذا فقال :

لعل آخر تعبير عن موقفها (يعني عائشة) السلبي من عليّ (ع) انقباضها عن ولديه الحسن والحسين ، فلقد كانت تحتجب عنهما وهما لها من المحارم إنّهما سبطا زوجها ولا تحل لهما ولا يحلان لها ، ومن المعروف بداهة أنّه لا تحل امرأة الرجل لولده ولا لولد ولده وأولاد بناتهم وهي تعرف ذلك حق المعرفة لكنّها حجبتهما ولم تكن تأذن لهما إلا من وراء حجاب مبالغة في مباعدتهما ، ولقد علّق على هذا الحادث ابن عباس بقوله : إنّ دخولهما عليها لحل .

ثم كانت الأمنية الأخيرة للحسن بعد وفاة عليّ وتنازله لمعاوية عن الخلافة أن يدفن عند جدّه رسول الله (ص) وهو أمسّهم به رحماً بعد ابنته وأزواجه ولكن للأهواء السياسية منحى لا يخضع لحق ولا منطق(٢) .

لم يكن الحقد الدفين من أُمّ المؤمنين عائشة لعلي وولديه سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله هو الدافع الوحيد لمخالفة الله ورسوله وتحريف الأحكام الشرعية فهي لم تكن تعر الشريعة اهتمامها بل كانت تحرف كل ما خالف هواها باسم الدين وسنة الرسول فقد قامت بأعظم تحريف علني للشريعة خلافاً لجميع الصحابة من أجل أن تجد مسوغاً لإدخال من تحب عليها من الرجال ونحن ننقل ما رواه أئمة الحديث في هذا الصدد

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٦٣ ـ ١٧٨ .

(٢) عائشة والسياسة ص ٢١٨ .

للتدليل على هذه الحقيقة .

روى أئمة الحديث وحفظة الآثار عن عائشة أن أبا حذيفة كان قد تبنّى سالماً الذي يقال له سالم مولى أبي حذيفة كما تبنّى النبيّ (ص) زيداً وأنكح أبو حذيفة سالماً ـ وهو يرى أنه إبنه ـ ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد وهي من المهاجرات الأُول فلمّا أنزل الله عزّ وجل ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾ الآية رُد كل واحد من أولئك إلى أبيه فجاءت سهلة بنت سهيل وهي امرأة أبي حذيفة وهي من بني عامر فقالت يا رسول الله كنا نرى أنّ سالماً ولد وكان يدخل عليّ وأنا فُضُل وليس لنا إلاّ بيت واحد فماذا ترى ؟ فأمرها رسول الله أن ترضع سالماً فأرضعته خمس رضعات وكان بمنزلة ولدها من الرضاعة فأخذت عائشة بذلك فيمن كانت تريد أن تدخل عليها من الرجال فكانت تأمر أم كلثوم أختها وبنات أخيها يرضعن لها من أحبت أن يدخل عليها من الرجال وأبى سائر أزواج النبي أن يدخل عليهن أحدٌ بتلك الرضاعة وقلن والله ما نرى الذي أمر النبي (ص) به سهلة إلا رخصة في رضاعة سالم وحده[1] .

هكذا كانت أُمّ المؤمنين تدخل عليها الرجال بعد أن ترسلهم إلى أُختها أُمّ كلثوم وهم رجال فيرضعوا ثدي أختها بهذا الشكل المخجل فكيف يمكن لنا نسبة ذلك إلى رسول الله ولو صح وما نقلت عن سالم كيف يأمر رسول الله الرجال بأن يرضعوا من النساء حتى يحرموا عليهن مع أن الرضاع الذي يحرم ما أنبت اللحم وشد العظم ولا رضاع بعد فطام كما جاء عن رسول الله ومن هنا ضاقت عائشة ذرعاً في تبرير هذه الفتوىٰ التي تخالف تعاليم الإسلام وسنّة الرّسول والعرف البشري فنسبت ذلك تارة لرسول الله (ص) وزعمت أنه أمر سهلة بإرضاع سالم وأخرى ادعت بأنّ الله أنزل آية الرجم ورضاعة الكبيره

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٧/ ٤٦٠ـ٤٦١ ، سنن البيهقي ٧/ ٤٥٩ وقال رواه البخاري عن يحيى بن بكير وعن أبي اليمان ، موطأ مالك ٢/ ٤٤ ، سنن ابن ماجه ٢/ ٦٢٥ ، صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٦ حديث ١٤٥٣ ، طبقات ابن سعد ٣/ ٨٦ وج ٨/ ٢٧٠ـ ٢٧١ـ ٤٦٢ ، مسند أحمد ٦/ ٢٧ .

عشراً وكان ذلك في صحيفة تحت سريرها فلما مات رسول الله (ص) تشاغلت بموته فدخل داجن فأكلها (١).

فانظر أيها القارىء الكريم إلى هذا الكذب الصريح على الله ورسوله والقول بتحريف القرآن وإنزاله إلى هذه المنزلة عند المسلمين حتى يدخل داجن ويأكله فتذهب آيات منه مع أنّ الله سبحانه وتعالى يقول ﴿**إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾ فلا أدري من نصدق هل نصدق أُمّ المؤمنين التي قتلت في يوم واحد الآلاف من المسلمين وهتكت الحرمات في فتوى تخالف كتاب الله حيث يقول :

وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ أم نصدق ربنا في عدم تحريف القرآن وحفظه ؟

ونحن إذا تعمقنا في دراسة حياة أُمّ المؤمنين لوجدنا أنها تنسب كثيراً من الأحكام إلى رسول الله على خلاف الواقع وقد اتّضح للقارىء من خلال هذه المسألة كم ارتكبت أُمّ المؤمنين من المخالفات العظيمة التي أجمع المسلمون على بطلانها من أجل الوصول إلى هدفها وهواها الشخصي .

هذا هو موقف عائشة من الرسول وصهره والعترة الطاهرة مع اعترافها بعظمة عليّ عند النبيّ وأنّه قال لها يوماً عندما هجمت عليه وهو يناجي علياً فأقبل عليها وهو غضبان محمر الوجه .

فقال : إرجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلّا وهو خارج عن الإيمان (٢).

---

(١) سنن ابن ماجه ١/٦٢٦ حديث ١٩٤٤ . قال الدميري في حياة الحيوان وفي السنن الأربع عن عائشة قالت نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ولقد كانت صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها ١/٤٦١ .

(٢) شرح النهج ٢/٢١٧ .

ولشدة بغضها للإمام علي لم تصرح باسمه كما مرّ حينما روت خروج النبي في حال مرضه وهو متكي على الإمام عليّ والفضل بن العباس ، قال عبيدالله : فحدثتُ به ابن عباس فقال : أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة هو علي بن أبي طالب ولكن عائشة لا تطيب له نفساً بخير وفي لفظ آخر لا تطيب لها نفساً[1] .

ومهما حاول أتباع مدرسة الخلفاء من تنزيه أُمّ المؤمنين عائشة والدفاع عنها وأنها تابت فإن الحق لا تطمس معالمه وهذه صحاحهم شاهدة بنفاقها فقد رووا في صحاحهم أن رسول الله (ص) قال : «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»[2] . ثم يروون بعد ذلك في صحاحهم أيضاً ومسانيدهم بأن عائشة كانت تبغض الإمام علي ولا تطيق ذكر إسمه[3] . فهذه الصحاح شاهدة على نفاقها وانحرافها عن تعاليم زوجها وبغضها لعلي .

بعد هذه المواقف المعادية لجميع أهل البيت والرسول الأعظم (ص) هل يقبل ذو مسكة أنّ الإمام الحسن (ع) أوصى أن يدفن في حجرة عائشة التي تظاهرت على جدّه المصطفى وحاربت أباه المرتضى وتحجبت عنه وعن أخيه ؟

وللإجابة على هذا السؤال لا بدّ من عرض الموقف .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب الغسل والوضوء في المخضب وفي كتاب الصلاة باب حد المريض أن يشهد الجماعة وفي باب إنّما جعل الإمام ليؤتم به وفي كتاب الهبة باب هبة الرجل لامرأته وفي كتاب الطب باب حدثنا بشر بن محمد وفي باب مرض النبي ٦/١٤ ورواه مسلم كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام بطرق عديدة ورواه ابن ماجه في سننه والحاكم في مستدركه ٢/٥٦ والدارمي في سننه ١/٢٨٧ والبيهقي في سننه ١/٣١ وج ٣/٨٠ وج ٨/١٥١ وابن سعد في طبقاته ٢/ القسم ٢/١٩- ٢٨- ٢٩ وأحمد في مسنده ٦/٣٦ وعبد الرزاق في مصنفه ٥/٤٢٩ فتح الباري ٨/١٠٨ .

(٢) صحيح مسلم ١/٦١ صحيح الترمذي ٥/٣٠٦ سنن النسائي ٨/١١٦ .

(٣) أنظر المصادر في هذه الصفحة رقم (١).

وصية الإمام الحسن :

لمـا مـرض الإمـام الحسن (ع) كتب وصيتـه ونحن نعتمـد على أهمّ المصادر التاريخية في نقلها لأهمية الموضـوع ، وقد التـزمنا بلفظ ابن عسـاكر لأنّه أجمع المؤرخين لهـذه الحادثـة فقد أخـرج في تاريخـه في ترجمـة الإمام الحسن (ع) عن محمد بن الحنفية أنّه قال :

لما مرض الحسن بن عليّ مرض أربعين ليلة فلمّا استعزّ به وقد حضرت عنده بنو هاشم فكانوا لا يفارقونه يبيتـون عنده بـالليل وعلى المـدينة سعيـد بن العاص وكان سعيد يعوده فمرّة يؤذن له ومـرّة يحجب عنه فلمّـا استعزّ بـه بعث مـروان بن الحكم رسـولاً إلى معـاويـة يخبـره بثقـل الحسن بن عليّ ، وكـان الحسن بن علي (ع) رجلاً قد سقي وكان مبطوناً إنّما كـان تختلف أمعاؤه فلمّـا حضر وكان عنده إخوته عهد أن يدفن مع رسول الله (ص) إن استطيع ذلك فإن حيل بينه وبينه وخيف أن يهرق فيـه محجمة من دم دفن عنـد أُمّه[1] بـالبقيع ، وجعل الحسن (ع) يوعز إلى الحسين :

يـا أخي إيّاك أن تسفـك الدمـاء فيّ فإنّ النـاس سراع إلى الفتنـة ، فلمّا توفي الحسن ارتجّت المدينة صياحاً فلا يلقى أحد إلّا باكياً ، وأبرد مروان إلى معاوية يخبره بموت الحسن (ع) وأنّهم يـريدون دفنـه مع النبي (ص) وأنّهم لا يصلون إلى ذلك أبداً وأنا حيّ .

فانتهى الحسين بن عليّ إلى قبر النبي (ص) .

---

(١) المراد بأمّـه : جدتـه أم أبيه فـاطمة بنت أسـد بدليـل ما جـاء في فتوح ابن أعثم ٢٠٨/٤ ، والإرشـاد للمفيـد ص ١٩٢ ، وكشف الغمـة ٥٨٦/١ ، ومنـاقب ابن شهـرآشـوب ٤٤/٤ .

قال في كشف الغمة إن الإمام وصّى بأنّه إذا لم يتمكنوا من دفنه عند جده يدفن عنـد جدته فاطمة بنت أسـد . ومن هنا لا يـرد أن الزهـراء دفنت في البقيع وسيـأتي بيان ذلـك . كشف الغمة ٥٨/١ .

فقال : إحفروا هاهنا فنكب عنه سعيد بن العاص وهو الأمير فاعتـزل ولم يحل بينه وبينه .

وصاح مروان في بني أُميّـة وتلبّسوا السـلاح وقال مـروان : لا كان هـذا أبداً .

فقال له الحسين : يابن الزرقاء ما لك ولهذا أوالٍ أنت ؟

قـال : لا كان هـذا ولا يخلص إليـه وأنـا حيّ ، فصـاح الحسين بحلف الفضول فاجتمعت بنو هاشم وتيم وزهرة وأسد وبنـو جعونـة بن شعوب من بني ليث قـد تلبّسـوا السـلاح ، وعقـد مـروان لـواء وعقـد الحسين لـواء ، فقـال الهـاشميون : يـدفن مع النّبيّ (ص) حتى كـانت بينهم المرامـات بالنبـل وابن جعونة بن شعوب يومئذ شاهر سيفه ، فقام من ذلك رجال من قريش عبدالله بن جعفر بن أبي طالب والمسور بن مخرمة بن نوف وجعـل عبدالله بن جعفـر يلحّ على الحسين وهو يقول : يا بن عم ألم تسمع إلى عهـد أخيك : إن خفت أن يهراق فيّ محجمة من دم فادفني بالبقيع مع أمّي أذكرك الله أن تسفك الدماء ، والحسين (ع) يأبى دفنه إلاّ مـع النبي (ع) وهو يقـول ويعرض مـروان لي مالـه ولهذا ؟[1] .

قـال : فقال المسـور بن مخرمـة : يا أبـا عبدالله إسمـع منّي قد دعـوتنا بحلف الفضـول وأجبناك ، تعلم إني سمعت أخـاك يقول قبـل أن يموت بيـوم يا بن مخرمة إنّي قد عهدت إلى أخي أن يدفنني مع رسول الله (ص) إن وجـد إلى ذلك سبيل فـإن خاف أن يهـراق في ذلك محجم من دم فليـدفني مع أُمّي بـالبقيع وتعلم أنّي أذكـرك الله في هذه الـدمـاء ألا تـر مـا هـاهنـا من السـلاح والرجال والناس سراع إلى الفتنة .

---

(١) نحن في شك من دعوة الإمام الحسين بحلف الفضول لأن الإمام ما كان ليخالف وصية أخيه الحسن كمـا أنه هـو الذي منـع بني هاشم من منـابذة بني أُميّـة ومنع النـاس من مقاتلتهم كما سيأتي بيان ذلك وليس الأمر كما روى ابن عساكر .

قال : وجعل الحسين يأبي وجعلت بنو هاشم والحلفاء يلغطون ويقولون :

لا يدفن أبداً إلّا مع رسول الله (ص) .

قال الحسن بن محمد بن الحنفية سمعت أبي يقول : لقد رأيتني يومئذ وإنّي لا أريد أن لا أكون أراه مستوجباً لذلك إلّا أنّي سمعت أخي يقول : إن خفتم أن يهراق فيّ محجم من دم فادفنوني بالبقيع .

فقلت لأخي : يا أبا عبدالله وكنت أرفقهم به إنّا لا ندع قتال هؤلاء القوم جبناً منهم لكنا إنّما نتبع وصية أبي محمد أنّه والله لو قال : ادفنوني مع النبي (ص) لمتنا من آخرنا أو ندفنه مع النبي (ص) ولكنه خاف ما قد ترى .

فقال : إن خفتم أن يهراق فيّ محجم من دم فادفنوني مع أُمّي فإنّما نتبع عهده وننفذ أمره .

قال : فأطاع الحسين بعد أن ظننت أنّه لا يطيع فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع . انتهى .

وقد روى هذه الوصية المؤرخون بعبارات مختلفة فراجع[1] .

ووصيّة الإمام الحسن (ع) بأن يدفن عند جده مما أجمع عليه الكل وإن اختلفت عباراتهم إجمالاً وتفصيلاً .

وهنا عدة تساؤلات تطرح نفسها على مسرح هذه الحادثة التي تشكل قضية هامة في تاريخنا الإسلامي ولم تعط حقها من البحث حتى اليوم .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام الحسن تحقيق الشيخ المحمودي ص ٢٢١ و٢٢٣ ، طبقات ابن سعد مخطوطة ترجمة الإمام الحسن ج ٨ حديث ١٥٢ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/١٨٥ ، ترجمة الإمام الحسن من أنساب الأشراف تحقيق المحمودي ص ٦٠ ، فتوح أعثم ٤/٢٠٧ ، تاريخ اليعقوبي ٣/٢٢٥ ، مقاتل الطالبيين ص ٧٤، شرح النهج ١٦/١٤، الإصابة ٢/١٦ .

فما هو السبب في وصية الإمام أن يدفن مع جده أوّلاً ؟ .

ثم ما هو السبب في تعليق دفنه هذا على الإستطاعة كما تقدم في عبارة ابن عساكر حيث قال لأخيه الحسين (ع) إن استطيع ذلك فإن حيل بينه وبينه وخيف أن يهراق فيه محجمة من دم دفن عند أُمّه بالبقيع ؟

ثم ما هو الدافع للإمام الحسن (ع) أن يؤكد على أخيه الحسين أن لا يسفك دماً ؟ حيث يقول له :

يا أخي إياك أن تسفك الدماء فيّ فإنّ الناس سراع إلى الفتنة .

ولماذا لمّا قبض الإمام الحسن (ع) تسلّح الحسين (ع) وجمع مواليه فقال أبو هريرة : أنشدك ووصية أخيك فإنّ القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماً ؟

ثمّ لماذا صاح مروان في بني أُميّة وتلبّسوا السلاح وقال مروان : لا كان هذا أبداً ؟[1] .

وفي لفظ اليعقوبي : لمّا أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله ركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك حتّى كادت تقع فتنة[2] .

ثمّ لماذا أبرد مروان لمعاوية وعقد لواءً فوراً ولبس السلاح وأحضر معه ألفي رجل ؟[3] .

ولماذا كان أصرار الإمام الحسين ومن معه على دفنه مع النّبيّ (ص) إلى أن دعي بحلف الفضول ووقعت بينهم المناوشة حتى رمى القوم جنازته وسلّ منها سبعون نبلاً[4] .

---

(١) تهذيب الكلام مخطوطة دار الكتب المصرية ٢ /٢٧٢ ، طبقات ابن سعد، ترجمة الإمام الحسن ج ٨ حديث ١٥٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ /٢٢٥ .

(٣) طبقات ابن سعد مخطوطة ترجمة الإمام الحسن ج ٨ حديث ١٨٤ .

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٤ /٤٤ ، البحار ٤٤ /١٥٧ ، الإرشاد ص ١٧٦ .

كل هذه التساؤلات تطرح نفسها أمام الباحث وكلّها حلقة مترابطة لا يصح الحكم فيها بدون أن يدرسها الإنسان من جميع أطرافها .

وسوف يتضح الأمر وينجلي الموقف حينما تعلم موقف أُمّ المؤمنين من دفن الإمام وما هو دورها في هذه القضية .

لقد صادرت السلطة جميع أموال الزهراء حتى الحجرة التي دفن النّبي (ص) ، وقد استولت عائشة عليها بمساعدة السلطة وادعتها فيما بعد لنفسها وإلاّ كيف يمكن لنا أن نفسّر وصية الإمام بالدفن في حجرة ألدّ أعداء أبيه وأُمّه .

وهل يقبل عاقل بأنّ الإمام وصّى أن يدفن في حجرة عدوّه .

وكيف يمكن لعائشة أن تسمح بدفن الإمام في حجرتها وهي التي كانت تحتجب عنه وعن أخيه ومن هنا تعلم أنّ القوم وضعوا أخباراً تفيد أنّ الإمام استأذن من عائشة فأذنت له ولكن لما وجدت أنّ الحرب ستقع بين بني هاشم وبني أُميّة منعت من دفنه وهل هذا إلاّ اختلاق لإخفاء الحقيقة وتمويهها ، لقد كان لأمّ المؤمنين اليد الطولى في منع الإمام من الدفن مع جده وقادت الحركة المعادية لبني هاشم في ذلك اليوم كما قادتها من قبل في حرب الجمل .

أخرج ابن سعد وغيره من المؤرخين عن عبدالله بن الزبي قال : سمعت عائشة تقول يومئذ (أي يوم أرادوا دفن الإمام عند جدّه) : هذا الأمر لا يكون أبداً يدفن ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابع والله إنّه لبيتي أعطانيه رسول الله في حياته وما دفن عمر وهو خليفة إلاّ بأمري وما آثر عليّ رحمه الله عندنا بحسن[1] .

فهذا الحقد من أُم المؤمنين لم يكن جديداً بالنسبة إلى أهل البيت

---

(١) طبقات ابن سعد مخطوطة ترجمة الإمام الحسن حديث ١٧٤ ج ٨، تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام الحسن تحقيق المحمودي ص ٢٢٤، ترجمة الإمام الحسن من أنساب الأشراف ص ٧١، أعلام النبلاء للذهبي ٣/١٨٥ .

وغيرهم فهي التي سعّرت الحرب ضد عثمان وأغلظت له يوماً حتى تضارب قوم بالنعال بسببها وكان أوّل قتال بين المسلمين بعد النّبي (ص)[1] . ومن هنا كان النّبيّ (ص) ينبّه أصحابه إلى أنّها أصل لكل فتنة . فقد أخرج البخاري في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي قال : قام النبي خطيباً فأشار نحو سكن عائشة فقال ههنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان وفي لفظ مسلم خرج رسول الله (ص) من بيت عائشة فقال رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان[2] .

وكانت تحمل قميص رسول الله وتقول : أيّها النّاس هذا قميص رسول الله لم يبل وبلت سننه ، اقتلوا نعثلاً فقد كفر[3]

ولمّا قتل عثمان وبلغها قتله قالت ـ وهي في طريقها إلى المدينة حيث مرّ بها راكب ـ ما وراءك ؟

قال : قتل عثمان .

فقالت : كأني أنظر إلى الناس يبايعون طلحة وإصبعه تخس أيديهم ، ثم جاء راكب آخر .

فقال : قتل عثمان وبايع الناس عليّاً .

فقالت : واعثماناه ، ورجعت إلى مكة فضربت لها قبتها في المسجد الحرام وقالت : يا معشر قريش إنّ عثمان قد قتل قتله عليّ بن أبي طالب والله لأنملة ، أو قالت لليلة عثمان خير من عليّ الدهر كلّه[4] .

إنّ كلمة أُمّ المؤمنين هذه إن كانت تدل على شيء فهي تكشف عن

---

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٤.

(٢) صحيح مسلم ٨/١٨١ صحيح البخاري ٤/٤٦.

(٣) فتوح ابن أعثم ٢/٢٢٥ ، تاريخ الطبري ٤/٤٧٧ ، الكامل ٣/٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ٢/٧٧ ، نهاية ابن الأثير ٤/١٥٦ .

(٤) أنساب الأشراف ٥/٩١ .

البغض الذي تكنه للإمام وهي لا تتورع عن اتهامه بأيّ تهمة مهما كانت حتى تشفي حقدها الدفين .

لقد حاولت أُمّ المؤمنين أن تطفىء ذكر عليّ وأبنائه بكلّ وسيلة حتى أنّها ادعت أنّ النّبي (ص) مات بين سحرها ونحرها وأنّه لم يوص للإمام حتى (انخنث في حجرها وما شعرت أنّه مات فمتى أوصى إليه)[1] .

وهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون من أنّ النّبيّ (ص) أوصى إلى عليّ بغسله ودفنه وكان غسل الإمام للنبي (ص) صاعقة على أُمّ المؤمنين أقلق راحتها ونغّص عيشها حتى ما استطاعت إخفاء ذلك وقالت :

(لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل النّبيّ (ص) غير نسائه[2] .

نعم هذه أُمّ المؤمنين حين علمت أنّ الإمام عليّ (ع) بويع بالخلافة أظلمت الدنيا في وجهها وأطبقت السماء عليها فكيف تسمح اليوم لولده أن يدفن في حجرتها بعد أن قادت أوّل جيش في الإسلام لمحاربة خليفة المسلمين وقد تركت هذه الحرب وصمات العار عليها فهي لا تنسى تلك المواقف واندحارها أمام الإمام مع ذلك الجيش العظيم .

فكيف تسمح للحسن أن يدفن مع أبيها وزوجها ومواقفها المعادية للإمام وأهل بيته لا تخفى على أيّ إنسان منصف .

إذاً لا شك أنّها كانت سيدة المعارضة في منع الإمام من أن يدفن مع جده وهذا ما يؤيّده التاريخ فقد ذكر أبو الفرج في مقاتل الطالبيين :

قال : لمّا أرادوا دفنه ركبت عائشة بغلاً واستنفرت بنو أُميّة مروان بن

---

(١) مسند أحمد ٦/٣٢.

(٢) سنن ابن ماجه ١/٤٧٠، مسند أحمد ٦/٢٦٧ ، البداية والنهاية ٥/٢٦٠ ، السيرة الحلبية ٣/٣٥٥ تاريخ الخميس ٢/١٧٠ . طبقات ابن سعد ٢/٢٧٦ . شرح النهج ١٣/٣٨ تاريخ الطبري ٣/٢١٢.

الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم[1] .

وقال ابن أعثم في فتوحاته : لمّا أراد الحسين دفن أخيه عند جده أرسل سعيد بن العاص أمير المدينة إلى عائشة حتى تمانع في دفن الإمام الحسن عند جده فركبت عائشة على بغلة مع جماعة من العثمانيين ومنعت القوم .

فقال لها بعض الشيعة : يوم على جمل ويوم على بغل ، وتفرق الناس فرقتين فرقة انحازت إلى عائشة وكادت أن تقع بينهم الحرب فأمر الإمام الحسين أن يدفن الإمام الحسن عند جدته فاطمة بنت أسد ، كما وصّى[2] .

وهذا يدل على عدم صحة كلام ابن عساكر من أنّ الإمام كان مصراً على دفن أخيه عند جده .

وقال اليعقوبي : وقيل إنّ عائشة ركبت بغلة شهباء .

وقالت : بيتي لا آذن فيه لأحد فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر فقال لها :

يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر ، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء[3] .

وقال عليّ بن طاهر بن زيد لعائشة يومئذ : فيوماً على بغل ويوماً على جمل[4] .

وفي روضة الأوائل لابن شحمة بهامش ابن الأثير ١١/١٣٣ ما هذا لفظه :

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٧٥ .
(٢) فتوح ابن أعثم ٤/٢٠٧ـ٢٠٨ .
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٥ .
(٤) مقاتل الطالبيين/ ٧٥ .

وكان أوصى أن يدفن عند جده فمنعت من ذلك عائشة .

نعم إنّ عائشة هي التي قادت تلك الحملة ومنعت من دفن الإمام وما أن أرسل إليها سعيد بن العاص ومروان ـ وقالا لها : يا أُمّ المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله لئن دفن الحسن بجوار جده ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه إلى يوم القيامة ـ حتى أقبلت مسرعة مدهوشة فركبت بغلة وأقبلت تصيح :

لا تدخلوا بيتي من لا أحب ، إن دفن الحسن في بيتي لتجز هذه وأومأت إلى ناصيتها ، وقد ذكر سبط ابن الجوزي وغيره أنّ مروان والأحزاب الأخرى لمّا منعوا من دفن الإمام كتب لمعاوية بذلك فشكره معاوية وعزل سعيد بن العاص وولّى مروان المدينة [1].

نعم ركبت أُمّ المؤمنين البغلة وقادت القوم ومنعت من دفن الإمام مع جده وهذا هدف بني أُميّة حيث اتفقوا على منع الإمام من أن يدفن مع جدّه فقد ركب بنو أُميّة بالسلاح وجعل مروان يقول :

يا ربّ هيجا هي خير من دعة أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن في بيت رسول الله (ص) لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف [2].

هذا الموقف من أُمّ المؤمنين المعادي لأهل البيت تعجب منه أبو هريرة مع موالاته للأُمويين فاستنكر هذا العمل وقال :

أرأيتم لو جيء بابن موسى ليدفن مع أبيه فمنع ، أكانوا قد ظلموه

---

(١) تذكرة الخواص ٢١٣ ، مقاتل الطالبيين ٧٤-٧٥ ، شرح النهج ١٦/ ٥٠ و٥١ ، طبقات ابن سعد ٨ حديث ١٨٤ ، مخطوطة ، ترجمة الإمام الحسن من تاريخ ابن عساكر ص ٢٢٤ ، ترجمة الإمام الحسن من أنساب الأشراف ٣/ ٦٠ حديث ٧١ ، الخرايج والجرايح ص ٢٣ ، حياة الإمام الحسن للقرشي ٢/ ٤٩٣ .

(٢) مقاتل الطالبيين ٤٩ ، ترجمة الإمام الحسن من ابن عساكر ص ٢٢ ، نهج البلاغة ١٦/ ٥٠ وروى هذا الحديث الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٠ ، مجمع الزوائد ٩/ ١٧٨ .

فقالوا : نعم قال : فهذا ابن نبي الله قد جيء به ليدفن مع أبيه[1] .

وقال لمروان : يا مروان أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله (ص) يقول له ولأخيه الحسين :

هما سيّدا شباب أهل الجنة ، فقال مروان : دعنا عنك لقد ضاع حديث رسول الله لو كان يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري[2] .

وروى المفيد في الإرشاد عن زياد المخارقي قال :

لما قضى الحسن وغسّله الإمام الحسين كفّنه ومضى به إلى قبر جدّه رسول الله ليجدد به عهداً ، أقبل إليه بنو أُمية ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول : ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب .

وجعل مروان يقول : يا ربّ هيجا هي خير من دعة أيدفن الحسن مع النّبي (ص) لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني أُميّة فبادر ابن عباس (رحمه الله) إلى مروان فقال له : ارجع يا مروان من حيث جئت فإنّنا لا نريد دفن صاحبنا عند رسول الله (ص) لكنا نريد أن نجدّد به عهداً لزيارته ثم نردّه إلى جدّته فاطمة فندفنه عندها بوصيته بذلك ولو كان أوصى بدفنه مع النّبي (ص) لعلمت أنّك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك لكنّه كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه .

ثم أقبل على عائشة وقال لها : واسوأتاه يوماً على بغل ويوماً على جمل تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله إرجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين والله منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين .

---

(١) أعلام النبلاء ٣/١٨٤ ، طبقات ابن سعد ترجمة الإمام ٨ حديث ١٥٢ مخطوطة مكتبة أحمد الثالث اسطنبول رقم ٢٨٣٥/٨ ، تهذيب الكمال ٢٧٢/٢ .

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٦٠ ـ ترجمة الإمام الحسن ، طبقات ابن سعد ترجمة الإمام ٨ حديث ١٧٩ ، شرح النهج ١١٤/١٦ .

وقال الحسين : والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء وأن لا أهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله فيكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا ومضى بالحسن (ع) ، فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها[1] .

وقال اليعقوبي : واجتمع مع الحسين بن عليّ جماعة وخلق من الناس فقالوا له : دعنا وآل مروان فوالله ما هم عندنا كآكلة رأس ، فقال :

أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم فدفن الحسن في البقيع[2] .

وهذا الكلام دليل آخر على أنّ الإمام منع النّاس من منابذة بني أُميّة كما أوصاه أخوه لا أنّ النّاس منعوه كما في رواية ابن عساكر وهذا مطابق لما رواه المفيد عن ابن عباس كما تقدم .

وبعد هذا العرض تتضح لنا الإجابة على التساؤلات التالية :

(أ) : أنّ الإمام الحسن أوصى بالإجماع أن يدفن مع جده رسول الله وممّا لا شك فيه أنّه كان يعلم بما سيحدث لأنّه أوصى أخاه إن منع من ذلك دفن عند جدّته في البقيع وقد حدث كما توقع .

فكيف أوصى بأن يدفن في حجرة ألدّ أعدائه وأعداءِ أُمّه وأبيه ؟

وكيف أوصى وهو يعلم بأنّ القوم يمنعوه من ذلك .

(ب) : أنّ عائشة ركبت بغلة ومنعت القوم من دفن الإمام وقد تظلّل بها مروان وبنو أُميّة حتى يمنعوا الإمام من هذا الفخر لأنّ عثمان دفن في حش كوكب وهو مزبلة لليهود فلا يمكن أن يسمحوا للإمام أن يدفن مع رسول الله فيذهب بنو هاشم بهذا الفخر دون الأمويين الذين دفنوا صاحبهم في مزبلة يهود المدينة .

---

(١) الإرشاد للمفيد ص ١٩٣ ، البحار ٤٤/١٥٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٥ .

(ج) : استعداد بني أُميّة وبني هاشم ولبسهم السلاح وإصرارهم على دفن الإمام عند جده وإصرار بني أُميّة على المنع يعطي الموضوع أهميّة خطيرة حتى أنّه دعي بحلف الفضول كما تقدم عن ابن عساكر .

(د) : تعجب أبو هريرة من القوم وظلمهم للإمام حيث لم يسمحوا له أن يدفن عند جده وما ذلك إلاّ لأنّه ليس طرفاً ولعلمه بأنّ الحجرة هي لهم فلذا استنكر ذلك منهم وتعجب من ظلمهم للإمام .

(هـ) : جواب ابن عباس يكشف لنا عن كثير من الخفايا حيث بيّن فلسفة وحكمة وصيّة الإمام الحسن (ع) بقوله لمروان : لكنّه أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه .

وهذه التساؤلات لا أريد أن أجيب عليها بما يظن البعض أنّه مجرد تكهن وتخرص لا يغني عن الحق شيئاً إلاّ أنّني أنقل وصية الإمام الحسن (ع) عن طريق ابن عباس كما نقلها المجلسي في البحار فقد جاء فيها :

فإنّي أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتك أن تصفح عن مسيئهم وتقبل من محسنهم وتكون لهم خلفاً ووالداً وأن تدفني مع رسول الله (ص) فإنّي أحق به وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده .

قال الله فيما أنزله على نبيه (ص) في كتابه : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي (ص) إلاّ أن يؤذن لكم﴾** فوالله ما آذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده .

فإن أبت عليك المرأة فانشدك الله بالقرابة التي قرب الله (عزّ وجل) منك والرحم الماسة من رسول الله (ص) أن تهريق في محجمة من دم حتى تلقي رسول الله فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده ثم قبض (ع) .

قال ابن عباس : فدعاني الحسين (ع) وعبدالله بن جعفر وعلي بن عبدالله بن العباس فقال :

إغسلوا ابن عمكم فغسّلناه وحنّطناه وألبسناه أكفانه ثمّ خرجنا به حتّى صلّينا عليه في المسجد وأنّ الحسين أمر أن يفتح البيت فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان وقالوا :

يدفن أمير المؤمنين الشهيد القتيل ظلماً بالبقيع بشر مكان ويدفن الحسن مع رسول الله لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا وتنقصف الرماح وينفذ النبل فقال الحسين (ع) : أما والله الذي حرم مكة للحسن بن علي وابن فاطمة أحقّ برسول الله وبيته ممن أدخل ببيته بغير إذنه وهو والله أحقّ به من حمّال الخطايا مسيّر أبي ذر (رحمه الله) الفاعل بعمّار ما فعل وبعبدالله ما صنع الحامي الحمى المؤوي لطريد رسول الله (ص) لكنكم صرتم بعد الأمراء وتابعكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء .

قال : فحملناه فأتينا به قبر أُمّه فاطمة فدفناه إلى جنبها (رضي الله عنها وأرضاه) .

وقال ابن عباس : وكنت أوّل من انصرف فسمعت اللغط وخفت أن يعجل الحسين (ع) على من قد أقبل ورأيت شخصاً علمت الشرّ فيه فأقبلت مبادراً فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرجل تتقدمهم وتأمرهم بالقتال .

فلمّا رأتني قالت : إلى أين يا بن عباس لقد اجترأتم عليّ في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب .

فقلت : واسوأتاه يوم على بغل ويوم على جمل تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله وتحولي بين رسول الله (ص) وبين حبيبه أن يدفن معه .

إرجعي فقد كفى الله (عزّ وجل) المؤونة ودفن الحسن إلى جنب أُمّه فلم

يزدد من الله تعالى إلاّ قرباً وما ازددتم والله إلاّ بعداً ، ياسوأتاه إنصرفي فقد رأيت ما سرك قال :

فقطبت في وجهي ونادت بأعلى صوتها : أوَما نسيتم الجمل يا بن عباس إنكم لذو أحقاد فقلت :

أم والله ما نسيته أهل السماء فكيف تنساه أهل الأرض فانصرفت وهي تقول :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر[١]

ومن خلال هذه الأخبار يظهر لنا أنّ الإمام الحسن (ع) كان مصراً على أن يدفن مع جدّه إلاّ أن يراق في ذلك دم فلا يرضى ، وطلب أن يدفن عند جدته فاطمة بنت أسد وهذا يعني أنّ المسألة ليست ارتجالية بل هي أمر مهم في نظر أهل البيت وبني هاشم ، ولذلك كان الإصرار من بني هاشم على دفنه مع جده إلاّ أنّ الإمام الحسين قال :

لا بدّ من العمل بوصية أخي فدفنوه في البقيع وقد بيّن الإمام الحسن (ع) بأنّه أحق بالحجرة ممن أدخل على رسول الله بغير إذنه وليس هذا الإصرار من الإمام الحسن (ع) إلاّ ليعلن للنّاس أنّ الحجرة لهم وقد سيطرت عليها عائشة وأدخلت عليها من تريد ، فقد نقل المؤرخون أنّ عائشة أرسلت إلى عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت أن هلمّ إلى رسول الله (ص) وإلى أخويك فقال : ما كنت مضيّقاً عليك بيتك[٢] .

والحق أنّ بني أُميّة لم يكونوا الطرف الأساسي في هذا الموضوع وإن كانت السلطة بيدهم وهم ألدّ الأعداء لبني هاشم وقد دفعهم الحسد إلى منع الإمام أن يدفن مع جده فيذهب بهذا الفخر مع أنّ عثمان دفن في حش كوكب

---

(١) بحار الأنوار ٤٤/١٥٢-١٥٣، أمالي الشيخ الطوسي ١/١٦١ .

(٢) وفاء الوفاء ٢/٥٥٧ و٣/٨٩٩، الدرة الثمينة ص ٤٠٤ . تاريخ المدينة لابن شبه ١/١١٥ .

ولـذا نجدهم يتظلّلون بـأُمّ المؤمنين فنجد أنّ سعيـد بن العاص كمـا تقدّم عن ابن أعثم واليعقوبي أرسل لعائشة يخبـرها بـأنّ الإمام الحسين يـريد دفن أخيـه عند جده كمـا أنّ مروان كـان يعلم كيف يحرك عـداوة أُمّ المؤمنين لبني هاشم فقال لها :

إنّ الحسين يـريـد دفن الحسن عنـد جـده وإذا دفنـه ذهب بفخـر أبيـك وصاحبه فهم كانوا حريصين على أن يكون الفخر لهم دون أهل البيت .

ومن هنـا هاجت العـداوة بأُمّ المؤمنين وامتـطت بغلاً واستنفـرت النـاس لمنع الحسن (ع) من أن يدفن عند جدّه فقادت حرب البغـل كما قـادت حرب الجمل من قبل وبمـا أنّ الإمام الحسن كـان يعلم بموقف القـوم وماذا سيكـون موقفهم من دفنه أوصى بأن لا يراق قطرة دم في ذلك ،وفي وصيته التي نقلنـاها عن ابن عباس والّتي قال فيها : فإن أبت عليك المرأة فأنشدك الله بالقرابـة من رسول الله أن لا تهريق في محجمة دم بهذه الكلمة بين الإمام (ع) أنّ المحـور في هذه القضية هو عائشة فهي التي منعت من ذلك وقد تظلّل بنو أُمية بها .

وما قيل إنّ الإمام الحسين قدّم سعيد بن العاص في الصّـلاة على الإمام الحسن هو من وضع المؤيّدين للأُمويين وذلك لما تقدّم من أنّ سعيد كان طرفاً في القضية ، وهو الذي أرسل إلى عائشة كي تمنع من دفن الإمام عند جدّه .

ومما يدل على كذب هذا الإدّعاء ما رواه نعيم بن حماد في أواخر الجزء الثاني من كتاب الفتن ص ٤٠ حديث ٤١١ ، قال : حدثنا هيثم أنبأنا الحصين حدثنا أبو حازم قال : لمّا احتضر الحسن بن علي (رضي الله عنهما) أوصى أن يـدفن مع رسـول الله إلاّ أن يكون في ذلـك تنـازع أو قتـال فيـدفن في مقـابـر المسلمين فلمّا مات جاء مروان بن الحكم في بني أُميّة ولبسوا السـلاح وقال : لا يـدفن مع النّبيّ (ص) منعتم عثمـان فنحن نمنعكم فخافـوا أن يكـون بينهم قتال .

قال أبو حازم : قال أبو هريرة :

أرأيت لـو أنّ إبنـاً لمـوسى أوصى أن يـدفن مـع أبيـه فمنـع ، أَلَمْ يكن

ظلموه ؟ قلت : بلى .

قال : فهذا ابن رسول الله (ص) يمنع أن يدفن مع أبيه .

ثم انطلق أبو هريرة إلى الحسين (ع) فكلّمه وناشده الله وقال : قد أوصى أخوك إن خفت أن يكون قتال فردّوني إلى مقابر المسلمين فلم يزل به حتّى فعل وحمله إلى البقيع .

فلم يشهد أحد من بني أُميّة إلاّ خالد بن عتبة فإنّه ناشدهم الله وقرابته فخلّوا عنه فشهد دفنه مع الحسين (رضي الله عنه)[١] .

وزبدة المخض أنّ الإمام الحسن (ع) أراد بعمله هذا أن يبيّن للأجيال وللمسلمين بأنّ الحجرة لهم وأنّهم أدخلوا على رسول الله الشيخين بغير إذنهم .

ومن هنا تعلم لماذا دفنت الزهراء (ع) ليلاً وسراً ولم يعلم قبرها حتى اليوم .

والتاريخ وإن كان لا يكشف لنا هذا السرّ إلاّ أنّ صاحب النظر الثاقب يرى أنّ الزهراء أمرت أن تدفن مع أبيها رسول الله (ص) لأنّ القوم كانوا قد صادروا حجرتها وجميع أموالها وحسب طبيعة العرب من حبّ التفاخر منعوا كل أحد من أن يدفن مع رسول الله غير الشيخين .

ويظهر أنّ عائشة بعد ذلك قد شعرت بالأمر فاستولت على الحجرة وانتقلت إليها بمساعدة السلطة وبَنِت حولها جداراً بعد أن قسمتها قسمين ومنعت الناس من أخذ تراب القبر من كوة كانت في الجدار فسدّتها[٢] .

وبعد أن قسمت الحجرة سكنت في قسم منها وكان هذا الأمر قبل دفن

---

(١) نسخة خطية في دار الكتب المصرية ومنها صورة فوتوغرافية بيد العلامة المحمودي راجع ترجمة الإمام الحسن من ابن عساكر تحقيق المحمودي ص ٢٢٣ .

(١) وفاء الوفاء ٢/٥٤٤ . طبقات ابن سعد ٢/٢٩٤ .

عمر فلمّا دفن عمر كانت لا تدخل إلاّ وهي جامعة عليها ثيابها وكانت قبل دفنه تدخل فضلاً [١].

لا يقال أين سكنت فاطمة إذا احتلَّ القوم دارها وانتزعوها منها لأنـه يقال أن علياً اتخـذ دارين في المـدينـة قال ابن شبه : واتخـذ علي بن أبي طـالب بالمدينة دارين أحداهما دخلت في مسجد رسـول الله (ص) وهي منزل فـاطمة بنت رسول الله (ص) التي كان يسكن وموضعها من المسجد بين دار عثمان بن عفـان في شـرقي المسجـد وبين البـاب المـواجـه دار أسمـاء بنت الحسن في شـرقي المسجـد والأخـرى التي بـالبقيـع وهي بـأيـدي ولـد علي على حـوز الصدقة[٢] والظاهر أن الإمام اضطر إلى اتخاذ البيت الثاني لمـا أخذ القـوم دار فـاطمة التي دفن فيهـا الرسـول (ص) ومنعوهـا من التصرف فيهـا بحجـة أنهـا أصبحت مقبرة للنبي (ص) .

نهايــة المطــاف :

أنّ وفاة النبي (ص) ودفنه في حجـرة الزهـراء (ع) ليس مجرّد ادّعـاء بل هـو الثابت في روايـة الصـدوق فقـد أخـرج في أمـاليـه في المجلس الثـاني والتسعين [٣] أنّ النّبيّ (ص) كان في بيت أُمّ سلمة فجاء بلال يقول :

الصلاة رحمك الله فخـرج رسول الله وصلّى بـالناس وخفف الصـلاة ثم قال :

ادعوا لي عليّ بن أبي طالب وأُسامة بن زيد فوضـع يده على عـاتق عليّ والأخرى على أُسامة ، قال : انطلقا إلى فاطمة فجـاؤا به حتى وضـع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان : أنفسنا لنفسك الفـداء ، ثم ذكر الصـدوق نـزول ملك المـوت ووفـاة النّبيّ (ص) في حجـرة

---

(١) نفس المصدر السابق . طبقات ابن سعد ٢ / ٢٩٤ .

(٢) تاريخ المدينة ٣ / ٩٤٥ وفاء الوفاء ٢ / ٤٦٩ـ٤٧٠ .

(٣) أمالي الصدوق طبع طهران ص ٦٣٦ـ٦٣٧ .

فاطمة ، وقوله :

هذا مفرق الجماعات ومنغّص اللذات هـذا ملك الموت مـا استأذن والله على أحـد قبلي ولا يستـأذن على أحـد بعـدي إستأذن عليّ لكـرامتي على الله إئذني له فقالت :

ادخـــل رحـــمـــك الله فـــدخـــل ريح هفافة وقال :

السّـلام على أهل بيت رسول الله . فـأوصى النّبيّ إلى عليّ بـالصبـر عن الدّنيا وبحفظ فاطمة وبجمع القرآن وبقضاء دينه وبغسله وأن يعمـل حول قبـره حائطاً ويحفظ الحسن والحسين[1] .

وهذا الحديث صريح بأنّ فاطمـة هي التي أذنت له لأنّـه طرق بيتهـا وقد توفّي النّبيّ (ص) فيه وقد أخرج الطبراني مـا يوافق هـذا الحديث في مضمـونه عن ابن عباس قال : جـاء ملك الموت إلى النّبيّ (ص) في مـرضه ورأسـه في حجر عليّ فاستأذن فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2] .

هـذا بالإضـافة إلى أنّ النّبيّ (ص) أوصى بـأن يدفن في المكـان الـذي يمـوت فيه كمـا سيأتي ومن المسلّم أنّ النبي لم ينقـل من المكان الّـذي توفّي فيه .

وهذا الحديث مع سابقه بالإضافة إلى الأخبار الّتي ستأتي ـ من أنّ النّبيّ (ص) مات ورأسه في حجر علي (ع) ـ تؤكّد هذا المعنى بحيث لا يبقى مجالاً للشّك في أنّ النّبيّ مات في حجـرة الزهـراء ودفن فيها وليس من المبـالغة في القول بأنّ النّبيّ كان يخاف (إن صحّ التعبير) من أُمّ المؤمنين بعد تظاهرها عليه وكيف تطيب نفسه بأن ينتقل إلى الرفيق الأعلى وهو في حجرتها وهو يعلم أنّها ستخرج على تعاليمه وتخالف سنّته وتحارب صهره وتنبحها كلاب الحوأب وقد أخبرها بذلك كما أجمع عليه المؤرخون ، والطبيعة البشـرية قـاضية بـأن يبتعد

---

(١) بحار الأنوار ٢٢/٥٢٧ ، مناقب ابن شهر آشوب ٣/٣٣٦ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢/٢٧٣ .

الإنسان عمّن يكرهه ، وهذا القول يتطابق مع موضع قبر النبي (ص) فقد أسند ابن شبه وابن زبالة كما تقدم ويحيى بن سليمان بن سالم كان بيت فاطمة بنت رسول الله (ص) في المربعة التي في القبر قال لي سليمان :

لا تنسى حظك من الصلاة إليها فإنّها باب فاطمة (رضي الله عنها) الذي كان عليّ يدخل عليها منه .

قال السمهودي في مقام عرض موضع قبر الزهراء ، قال : وثانيهما ما حكاه العزّ بن جماعة وقال :

إنّه أظهر الأقوال وهو أنّه في بيتها وهو مكان المحراب الخشب الذي داخل مقصورة الحجرة الشريفة من خلفها ، وقد رأيت خدام الحضرة يجتنبون ما بين المحراب المذكور وبين الموضع المزبور من الحجرة الشريفة الشبيهة بالمثلث ويزعمون أنّه قبر فاطمة[1] .

وقال ابن جبير في رحلته : وفي جوف الروضة المقدسة حوض صغير مرخم قبلته شكل محراب قيل أنه كان بيت فاطمة (رض) ويقال : هو قبرها[2] .

وهذه الحقيقة شبه مجمع عليها عند أئمّة أهل البيت وشيعتهم من أنّها دفنت في حجرتها مع رسول الله ، فقد روى الكليني والشيخان الطوسي والصدوق عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : سألت أبا الحسن (ع) عن قبر فاطمة فقال : دفنت في بيتها فلمّا زاد بنو أُميّة في المسجد صارت في المسجد [3] .

وهذا الحديث وإن كان لا يدلّ على أنّها دفنت مع رسول الله وإنّما

---

(١) وفاء الوفاء ٣/٩٠٦.

(٢) رحلة ابن جبير ١٧٠ ، رحلة ابن بطوطة ١١٤ .

(٣) معاني الأخبار للصدوق ص ٢٦٨ ، بحار الأنوار ٤٣/١٨٥ ، وسائل الشيعة ١٠/٢٨٨ ، أصول الكافي ١/٤٦١ ، مرآة العقول ٥/٣٤٨ .

دفنت في بيتها إلّا أنّ الحديث الذي رواه ابن طاووس في كتابه (المسائل الكلامية) يبيّن الحقيقة ويكون شارحاً للحديث الأوّل فقد روى عن إبراهيم بن محمد الهمداني أنّه كتب إلى الإمام عليّ النّقى (ع) يسأله عن محلّ دفن فاطمة الزهراء (ع) فكتب إليه أنّها دفنت مع جدّي رسول الله (ص)[1].

وقد تقدم أنّ بيت عائشة كان أوّل الحجر في الزاوية الجنوبية الغربية من القبلة فهي أبعد الحجر عن مكان دفن النبي (ص)، ولا يوجد غير حجرة الزهراء في المكان الذي دفن فيه النّبيّ (ص).

وقد أخرج المؤرخ الكبير الحافظ الشيخ محمد بن محمود بن النجار في كتابه (الدرة الثمينة في أخبار المدينة) ما يطابق الحديث السابق فقال: أنبأنا أبو القاسم التّاجر عن أبي عليّ الحدّاد عن أبي نعيم الحافظ عن أبي محمد الخواص قال: أخبرنا أبو زيد المخزومي حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد الحسن حدّثني محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن جعفر بن محمد كان يقول: قبر فاطمة (رضي الله عنها) في بيتها الّذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد وقلت: وبيتها اليوم حوله مقصورة وفيه محراب وهو خلف حجرة النبي (ص) وأدخل أيضاً قبر النبي (ص) مع سائر حجرات نسائه بالمسجد[2].

وكبار المحققين من علماء الشيعة ذهبوا إلى أنّها دفنت في بيتها (ع).

قال ابن بابويه: والصحيح عندي أنّها دفنت في بيتها، فلمّا زاد بنو أُمية في المسجد صارت في المسجد[3].

وقال الشيخ الطوسي: الأصوب أنّها مدفونة في دارها[4].

---

(١) رياحين الشريعة ٢/٩٣.

(٢) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص ٣٧٢.

(٣) كشف الغمة ١/٥٠١.

(٤) بحار الأنوار ٤٣/١٨٥، وهذا ما اختاره المجلسي أيضاً في مرآة العقول ٥/٣٤٨.

وممّا يؤيده أنّها دفنت مع أبيها في حجرتها الإجماع القائم على أنّها دفنت سراً وليس هناك فلسفة ظاهرة لدفنها سراً في بيتها سوى أنّ القوم كانوا قد صادروا حجرتها ، ولو أوصت أن تدفن علناً لمنعوها من ذلك كما منعوا ولدها الحسن (ع) ، ومما يؤيد هذا المطلب كلام الإمام (ع) بعد أن دفنها التفت إلى قبر رسول الله وخاطبه بقوله : السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة بجوارك[1].

فهذا الخطاب لرسول الله (ص) وقوله : «النازلة بجوارك» مما يصحح ما قلناه من أنّها دفنت مع أبيها وإنّما دفنت سراً لسببين :

(أ) : حتى تبيّن أنّ الحجرة ملكها وقد أخذت منها قهراً وأوصت أن تدفن سراً لأنّها كانت تعلم أنّ القوم لن يسمحوا لها بذلك لو أوصت أن تدفن علناً كما حدث في وصية الإمام الحسن (ع) .

(ب) لتعلن سخطها ومعارضتها للسلطة الغاصبة التي استولت على أزمة الأمور .

وبهذا العمل علّمت الأجيال درساً من دروس التضحية في سبيل إعلان كلمة الحق وإحقاقها والدفاع عن حريم الرسالة وإلّا كيف تدفن ولا يصلّي عليها الخليفة مع أنّ العادة قاضية بأنّ الخليفة هو الذي يصلّي على مثل هذه الشخصيات التاريخية العظيمة ، وقد بيّنت (ع) بهذا العمل أيضاً شدة الظلم والاضطهاد الذي استعملته السلطة ضدّها .

إرث عائشة من الحجرة :

وبعد الإجابة على السؤال الأوّل يبقى الجواب على السؤال الثاني الذي طرحناه في أوّل بحثنا وهو أنّا لو قبلنا دعوى عائشة من أنّ النّبيّ (ص) دفن في حجرتها ، فهل أنّها ترث من تلك الحجرة ؟ وما هو المقدار الذي ترثه ؟

---

(١) نهج البلاغة شرح عبد الحميد ١٩/٢٦٥ ، بحار الأنوار ٤٣/٢٩٠ ، أصول الكافي ١/٤٥٩ .

وقد تقدم أنّ النّبيّ (ص) لمّا ورد المدينة لم يكن يملك شيئاً من حطام الدنيا وبعد فترة قصيرة شرع ببناء مسجده ثم أخذ ببناء حجر نسائه وقد بنى لعائشة حجرة ولم تكن عائشة تملك شيئاً قبل ذلك .

وبناءً على مذهب العامّة فإنّ عائشة لا تملك شيئاً ولا سائر أخواتها من نساء النّبيّ (ص) وهذه الحقيقة من أبرز ما وقع فيه الخلاف بعد الخلافة ، فبعد أن استولى أبو بكر على الخلافة صادر أموال النّبيّ (ص) ومنع الزهراء ممّا أعطاها النّبيّ (ص) في حال حياته فأخذ منها فدك وأخرج عاملها منها فجاءته الزهراء وطالبته بإرثها من أبيها وما أفاء الله عليه من المدينة وما بقي من خمس خيبر وفدك فأجابها أبو بكر بما أخرجه البخاري وغيره من كبار أئمة الحديث بما نصّه :

قال أبو بكر : إنّ رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقة إنّما يأكل آل محمد (ص) من هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله (ص) عن حالها الّتي كانت عليها في عهد رسول الله (ص) ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله (ص) .

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك وهجرته فلم تكلّمه حتّى توفيت وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ (ع) ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر[1] .

---

(١) صحيح البخاري ٥/١٧٧ و٨/١٨٥ ، صحيح مسلم ٣/١٢٨٠ ، الصواعق المحرقة ٨ ، فتح الباري ٧/٣٧٨ ، تاريخ الطبري ٣/٢٠٢ ، مشكل الآثار للطحاوي ١/٤٨ ، سنن البيهقي ٦/٣٠٠ ، كفاية الطالب ٢٢٦ . البداية والنهاية ٥/٢٨٥ ، تاريخ الخميس ٢/١٧٤ و٢/١٩٣ ، السيرة الحلبية ٢/٥٠-٣٦٠ ، أنساب الأشراف ١/٤٠٢ و ٤٠٥ ، مصنف عبد الرزاق ٥/٤٧٢ ، طبقات ابن سعد ٢/٢١٠ . قال ابن شبه ماتت فاطمة ودفنت ليلاً وهي غاضبة على أبي بكر وعن عائشة أن علياً دفن فاطمة (رضي الله عنهما) ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر تاريخ المدينة ١/١١٠- ١٩٦- ١٩٧ مسند أحمد ١/١٦٠ ، مسند أبي يعلي الموصلي ١/١٢ سنن أبي داود ح ٢٩٦٣ سنن الترمذي ج ١٦١٠ مسند أحمد ١/٤٨- ١٦٢- ١٦٤- ١٩١- ٢٠٨ ، سنن النسائي ٧/١٣٥-١٣٧ .

وفي عبـارة أخـرى : سمعت النّبيّ (ص) يقـول : إنّ النّـبيّ (ص) لا يورث[1] .

وفي عبارة ثالثة : حدّثني رسول الله إنّ الله يطعم النّبيّ (ص) الطعمة ما كان حياً فإذا قبضه الله إليه رفعت[2] .

وفي عبارة رابعة : قال سمعت رسول الله (ص) يقول : إنّما هي طعمـة أطعمنيها الله في حياتي ما دامت فهي بين المسلمين[3] .

لقد أنكرت سيدة نساء العالمين على أبي بكر هـذا الحديث لأنـه خلاف القرآن وسيرة الأنبياء والعرف البشري منذ خلق الله الإنسان .

وحاشا نبيّ الرّحمة (ص) الذي كان يعلم ما سيحلّ بأهل بيته أن يتركهم حتى يحتاجوا إلى الناس وكيف يمنع أهل بيته من الإرث وهـو الّذي منـع أحد أصحابه أن يتصدق بشطر ماله .

أخرج ابن داوود وابن ماجـه عن عامـر بن سعد عن أبيـه قال : مـرضت عام الفتح حتى أشفيت على الموت فعادني رسـول الله فقلت : أي رسول الله أنّ لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلاّ ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي ؟

قال : لا .

قلت : فالشطر ؟

قال : لا .

قلت : فالثلث ؟

قال : الثلث والثلث كثير إن تذر ورثتك أغنيـاء خير من أن تـذرهم عالـة

---

(١) شرح النهج ١٦/٢١٩ .
(٢) المصدر السابق ١٦/٢٣٣ .
(٣) فتوح البلدان ص ٣٨.

يتكففون الناس[1] فكيف يأمر رسول الله بذلك ويترك ابنته وهو يعلم ما سَتلاقي من الظلم والاضطهاد وقد ردّت الزهراء الحديث الذي ادّعاه أبو بكر بالأدلّة والآيات المحكمة في خطبتها الغرّاءِ الّتي قالت فيها :

«أعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: **﴿وورث سليمان داود﴾** ، وقال فيما اقتص من خبر زكريا : **﴿فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّا﴾** ، وقال : **﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** ، وقال : **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾** ، وقال **﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾** .

ثم قالت :

أخصكم الله بآية أخرج بها أبي أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان . . .[2] .

فسبحان من خصّها بهذا البيان القاطع والبلاغة الواضحة حيث أنّها لم تبق للخليفة أيّ مهرب وقد استدلت بتوريث الأنبياء ثم بتوريث الناس .

وهذه الآيات كلّها عامّة فكيف يخصّ بها محمّد (ص) دون غيره من سائر بني الإنسان .

ولذا كان أبو بكر متهماً بحديثه الّذي تفرّد به دون سائر الصحابة ، قال ابن أبي الحديد .

وهذا الحديث غريب لأنّ المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلّا

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/٩٠٤، سنن أبي داوود ٣/١١٢ ، المعرفة والتاريخ ١/٣٦٨، وسيلة لمتعبدين القسم الثالث من الجزء الثالث ص ٢٢٠ ، الفاروق عمر ١/١٤٢، مسند الحميدي ١/٣٦، مسند أبي يعلي ٢/٩٢ .

(٢) بلاغات النساء ص ١٤ ، أعلام النساء ٣/١٢٠٨، شرح النهج ١٦/٢١١، وقد أخرجها الطبرسي في الإحتجاج .

أبو بكر وحده[1] .

والأعجب من هذا الحديث المخالف للقرآن والعرف البشري أنّ الجاحظ وابن حجر في صواعقه جعلاه دليلاً على أن أبا بكر أعلم الصحابة لتفرّده به[2] .

ومنع أبي بكر للزهراء (ع) من إرثها كان خلاف القرآن والسنّة والطبيعة البشرية فلذا غضبت عليه وقاطعته وقد منعته من الدخول عليها لعيادتها وبقيت غاضبة عليه حتى ماتت وأوصت أن تدفن ليلاً ولا يصلّي عليها وكانت تدعو عليه دبر كل صلاة كما تقدم ، وهذا المنع للزهراء إنّما وقع عليها خاصة دون العالمين لأسباب سياسية حتّى لا تأتي في اليوم الثاني وتطالب بالخلافة لزوجها فلا يمكن للخليفة الذي صدقها في دعواها بالأمس في الإرث أن يكذبها في دعواها الخلافة اليوم وقد بيّن فلسفتها ابن أبي الحديد فراجع .

ونحن لا نريد أن نتوسّع في الموضوع لأنّه خارج عن دراستنا وإلاّ فهو يحتاج إلى مجلّدات متعددة والحاصل أنّ مسألة عدم توريث النّبيّ (ص) مسألة إجماعية عند السنّة وقد أخرجها أصحاب الصحاح وهي أشهر من نار على علم فإنّ النّبيّ على مشرب العامّة لا يورث وهذا المنع عام لبناته وزوجاته ونفس أبي بكر الذي ادعى تخصيص القرآن بخبره لم يخصص المنع بالزهراء (ع) وإن كانت السياسة قد فرضت عليها المنع والحرمان من الإرث خاصة دون نسائه وهذا المنع روته عائشة كما تقدم وكانت شاهدة لما جرى بين الزهراء (ع) وأبيها ولم تكن عائشة مجرد شاهد على الواقعة بل دعمت أباها وكانت خير معين له في دعواه ولذا منعت أزواج النبي (ص) من المطالبة بإرثهن محتجة عليهن بالحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من المحدثين.

---

(١) شرح النهج ١٦/٢٢١ .

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٩ ، العثمانية للجاحظ ص ٨٤، وما قيل من أنّ أبا بكر لم يتفرد به بل رواه بعض الصحابة أيضاً لم يصح ذلك وإلاّ لما جعلوه دليلاً على أعلمية أبي بكر .

عن عروة بن الزبير : أنّ أزواج النّبيّ (ص) أرسلن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه مواريثهنّ من سهم رسول الله بخيبر وفدك فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله أما سمعتنّ رسول الله يقول :

لا نورث ما تركناه صدقة إنّما هذا المال لآل محمد لنائبتهم وضعيفهم فإذا متّ فهو إلى وليّ الأمر بعدي قال فأمسكن[1] . وطلب نساء النّبيّ إرثهن على حسب الجبلّة البشرية والعرف إلّا أنّ عائشة بعد موت الزهراء نسيت هذا الحديث ورجعت إلى الحق والفطرة البشرية فتراها تطرق باب عثمان للمطالبة بإرثها من النّبيّ .

روى شريك بن عبدالله في حديث رفعه أنّ عائشة وحفصة أتتا عثمان حين نقص أمّهات المؤمنين ما كان يعطيهنّ عمر فسألتاه أن يعطيهما ما فرض عمر فقال :

لا والله ما ذاك لكما عندي فقالتا له :

تأتنا ميراثنا من رسول الله من حيطانه ، وكان عثمان متكئاً فجلس وكان عليّ بن أبي طالب (ع) جالساً عنده فقال :

ستعلم فاطمة أي ابن عم لها اليوم : ألستما اللتين شهدتما عند أبي بكر ولفقتما ومعكما أعرابياً يتطهر ببوله مالك ابن الحويرث بن الحدثان فشهدتم أنّ النّبي قال : إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة فإن كنتما

شهدتما بحقّ فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما وإن كنتما شهدتما بباطل فعلى من شهد بالباطل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

---

(١) صحيح البخاري ١٨٧/٨ و١١٥/٥ ، صحيح مسلم ١٣٧٩/٣ ، أنساب الأشراف ٥٢٠/١ ، الجمع بين الصحيحين حديث ٤٣ من مسند عائشة ، شرح النهج ٢٢٣/١٦ ، الصواعق ص ٢٣ ، مصنف عبد الرزاق ٤٧١/٥ ، شرح النووي في حاشية إرشاد الساري ٣٤٣/٧.

فقالتا له : يا نعثل والله لقد شبّهك رسول الله (ص) بنعثل اليهودي .

فقال لهما : ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾ فخرجتا من عنده[1] .

هذا الكلام من عثمان كان صاعقة عليهما لأنّه يحمل آيات الحق ويبيّن ظلمهما للزهراء (ع) لما لفقتا كذباً وزوراً لمنع الزهراء من إرثها أبيها .

ومهما حاول القوم من ظلم الزهراء وإخفاء الحق ووضع الأحاديث على لسان رسول الله من أجل منعها من إرث أبيها فإن إبن عمر كذب الكل وكذب البخاري نفسه أيضاً بعد أن روى حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة . فقد روى البخاري عن أنس بن عياض عن عبدالله عن نافع أن عبدالله بن عمر قال أخبره عن النبي أنه خير أزواجه عاماً بشطر ما يخرج من أرض خيبر من ثمر أو زرع فكان يعطي أزواجه مائة وسق ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير . وقد قسم عمر في خلافته خيبر فخير أزواج النبي أن يقطع لهن من الماء والأرض أو يمضي لهن فمنهن من اختار الأرض ومنهن من اختار الوسق وكانت عائشة اختارت الأرض[2] فهذا الحديث يدل بوضوح على أن خيبر التي منعت الزهراء من إرث فدك منها بالحديث الذي رواه أبو بكر ورد دعواها لم يمنع من الإرث به إلا الزهراء وقد قسم عمر خيبر على زوجات النبي وخيرهن بين امتلاك الأرض أو أخذ الثمرة بالوسق وقد اختارت عائشة الأرض وكذبت أباها ونفسها حينما زعمت بأن النبي لا يورث فكيف ترث عائشة من رسول الله ولا ترث إبنته ومن هنا تعلم أيها القارىء الكريم أن القوم وضعوا ذلك الحديث لظلم بضعة المصطفى ومنعها دون العالمين وتعلم أيضاً مبلغ إيمان القوم وتقواهم وأن الدين عندهم كان وسيلة للوصول إلى شهواتهم وأهوائهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

---

(١) الإيضاح للفضل بن شاذان ص ٢٥٨ـ٢٦٨ .

(٢) صحيح البخاري ٣/٦٨ كتاب المزارعة باب المزارعة بالشطر ونحوه .

والحاصل أنّ عائشة لا ترث من النّبيّ (ص) حتى تملك الحجرة وتمنع من تشاء وتدفن فيها من أحبت .

ولو غضينا النظر عن هذا الأمر وقلنا بأنها ترث كما يقول الشيعة بنص القرآن والسنة والعرف البشري فإنّ القرآن الكريم قد حدّد للزوجة سهمها فإن كان الزوج ذا ولد فلها الثمن وإن لم يكن له ولد فلها الربع .

﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم﴾(١) .

والنّبيّ (ص) توفّي عن تسعة نساءٍ بإجماع المسلمين ، فلعائشة التسع من الثمن ، فإذا كانت ترث من الحجرة فلا بدّ أن لا يتجاوز حقها مقدار شبر تقريباً .

هل ملّك الرسول (ص) حجراته لنسائه :

الحق أنّ النّبيّ (ص) لم يملّك نسائه حجراته في حال حياته ، وإنّما كان لهن حق السكنى ، وهذه الحجرات كانت تنسب للنّبيّ (ص) لأنّه المالك الحقيقي وإنّما نسبت لنسائه لسكونتهن فيها .

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنّه ينسب البيوت تارة للنبيّ وأخرى لنسائه والنسبة لهنّ نسبة مجازية قال تعالى **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النّبيّ إلاّ أن يؤذن لكم﴾**(٢) وقد أوصى النّبيّ أنْ يدفن في بيته لا كما ادّعت أُمّ المؤمنين وغيرها بأنّه لم يوص حتى اختلفوا في مكان دفنه ، وحاشا نبيّ الرحمة وسيد الخلق أن يأمر أُمّته بالوصية وهو لا يوصي ، وكيف يخالف قوله تعالى :

﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾(٣) .

---

(١) سورة النساء : ١٢ .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٣ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٠ .

وقد ورد في الصحيح أنّه أوصى أين يدفن وكيف يغسل وكيف يصلّى عليه ومن يتولّى ذلك .

أخرج ابن سعد والبيهقي والحاكم وابن منيع والطبراني في الأوسط والطبري في تاريخه عن عبدالله بن مسعود قال : لمّا ثقل رسول الله (ص) قلنا : من يغسلك يا رسول الله ؟ قال :

رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم قلنا :

من يصلّي عليك ؟ قال : إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثمّ أخرجوا عني ساعة فإنّ أوّل من يصلّي عليّ جبرائيل وميكائيل ثمّ إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة ثمّ أدخلوا عليّ فوجاً فوجاً فصلّوا عليّ وسلّموا تسليماً ، الحديث[1] .

قال ابن سعد : فلمّا فرغ من جهاز رسول الله (ص) وضع على سرير في بيته[2] .

وسوف يأتي الحديث المشهور :

«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» .

فكيف يعرّف النبي الصحابة فضل الصلاة هناك وهم لا يعرفون أين يدفن ، وهذا مما يؤيد أنّ الصحابة كانوا يعرفون أين يدفن وهو في حال الحياة .

والنبي كان ينسب البيوت إليه أيضاً ولم يقل : ادفنوني في بيت

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٩٢، طبقات ابن سعد ٢/٢٥٧، بحار الأنوار ٢٢/٥٣١، الخصائص الكبرى ٢/٢٧٦، البداية والنهاية ٥/٢٥٣، شرح النهج ١٣/٣٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٢٢٩، سيرة ابن هشام ٤/٣١٤.

عائشة ، وهذه الحقيقة اعترفت بها عـائشة من حيث لا تشعـر من أنّه لم يـدفن في حجرتها فقد أخرج الطبري عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن عـائشة قالت :

ثم نزل رسول الله فـدخل بيتـه وتتامّ بـه وجعه حتى غمـر واجتمع عنـده نساء من نسائه أمّ سلمة وميمونة الحديث[1] .

وكذلك يظهر من كلامها على ما أخرجه أحمد في مسنـده عن عبدالله بن شقيق ، قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله من التطوع فقالت :

كان يصلّي قبل الظهر أربعاً في بيتي ثمّ يخرج فيصلّي بالناس ثمّ يـرجع إلى بيتي فيصلّي ركعتين وكان يصلّي بالنّاس المغرب ثمّ يرجع إلى بيته[2] .

وظاهر هـذا الحديـث يـدلّ على أنّ للنّبيّ بيتـاً غير حجـر نسائـه وإلّا لقالت : حجرة فلانة ، ومن المعلوم أنّ النبي لم يكن له بيت غير حجر نسائـه إلّا البيت الّذي بناه لفاطمة (ع) .

والحـديث السابق ظـاهره أنّـه لم يدفن في حجـر نسائـه وإلّا لقالت في حجرة ميمونة أو حجرتي أو حجرة حفصة .

أخـرج البخاري أيضـاً عن عائشـة أنّ النّـبيّ (ص) صلّى في بيتـه وهـو شاك فصلّى جالساً وصلّى وراءه قوم قياماً[3] .

وبعد هذا العرض تعلم أنّ الروايات الّتي تدلّ على أنّ أبا بكر أشار على الصحابة بدفن النّبيّ في المكان الذي توفي فيـه معارضـة بروايـات أصحّ منهـا لأنّ أبا بكر كما تقدّم لم يحضر دفنه والإمام هو الّذي أشار عليهم بدفنه في بيته طبق وصيّة رسول الله كما تقدم عن الطبري وابن سعـد ، وقد أخـرج أبو يعلى عن عائشة وابن الجـوزي أنّها قـالت : لما قبض رسـول الله (ص) اختلفوا في

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٩٥ ، المعرفة والتاريخ ١/٥١٠ .

(٢) مسند أحمد ٦/٤٠ .

(٣) صحيح البخاري ١/١٧٦ ، البدو والتاريخ ٥/٦١ .

دفنه فقال علي : إنّ أحب البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه فرضوا بذلك ، وهذا عين ما رواه الكليني في الكافي عن الإمام الصادق أنه قال :

إنّ النّبيّ (ص) أوصى أن يدفن في البقعة التي يقبض فيها ، وروى أيضاً عن أبي جعفر أنّ النبي قال للإمام :

يا علي ادفني في هذا المكان وارفع قبري عن الأرض أربع أصابع ورشّ عليه الماء[1] .

وعائشة لم تكتف بأن النبي (ص) دفن في حجرتها بل ادعت أنّه توفّي وفاضت نفسه الشريفة بين سحرها ونحرها وقد اعترفت فيما تقدّم أنّها لم تعلم أين دفن النّبي حتى سمعت صريف المساحي ليلاً .

وقد سئل ابن عباس عن ادعاء عائشة هذا فقال : أتعقل والله لتوفي رسول الله (ص) وأنّه لمستند إلى صدر علي وهو الّذي غسله[2] .

إنّ إنكار أمّ المؤمنين وصيّة رسول الله للإمام وقولها : لقد رأت النّبيّ وأني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانخنث فمات فما شعرت فكيف أوصى إلى عليّ وقولها : مات بين سحري ونحري ونزل به الموت ورأسه على فخذي ، وقولها : مات رسول الله بين حاقنتي وذاقنتي وقولها كما في صحيح مسلم : ما ترك رسول الله ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء[3] .

إنّ اختلاف كلامها في هذه الواقعة الواحدة يدل على مدى حرصها لإطفاء ذكر عليّ بأيّ وسيلة .

---

(١) وفاء الوفاء ١/٣٣، الوفاء بأحوال المصطفى ٢/٧٩٧، الخصائص الكبرى ٢/٢٧٨، شرح النهج ١٠/١٨٥، أصول الكافي ١/٤٥١، مرآة العقول ٥/٢٦٧، بحار الأنوار ٢٢/٥٢٥، مناقب ابن شهر آشوب ١/٢٤٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٢٦٣، الخصائص الكبرى ٢/٢٧٣.

(٣) صحيح البخاري كتاب الوصايا ١/٨٣ و٣/٦٤ ـ باب مرض النبي ، صحيح مسلم كتاب الوصية ٢/١٤.

ومن هنا كانت تحاول دائماً أن تظهر للناس أنّ النبي كان لها دون العالمين فتلصق نفسها به ولو كان ذلك فيه توهين لساحة النّبيّ (ص) ، فانظر إلى قولها :

وإني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانخنث فمات فما شعرت فكيف أوصى إلى عليّ .

كيف أماتت النّبيّ بهذه العجالة وكأن ذلك يمنع من أنّه كان قد أوصى سابقاً على فرض صحة كلامها ، وكيف لا يوصي وهو القائل على ما أخرج البخاري :

ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلاّ وصيته مكتوبة عنده[1] .

وأمّا ادعاؤها بأنّ النّبيّ مات بين سحرها ونحرها فهو خلاف الصحيح الثابت من روايات السنة ، وخلاف المجمع عليه عند أصحاب مدرسة أهل البيت (ع) من أنّ النّبيّ (ص) مات وهو على صدر عليّ ،وحسبك من طريق السنّة ما أخرجه ابن سعد في الباب الذي عقده في طبقاته في هذا الصدد بالإسناد إلى عليّ قال : قال رسول الله في مرضه :

ادعوا لي أخي فأتيته فقال :

ادن منّي فدنوت منه فاستند إليّ فلم يزل مستنداً إليّ وأنّه ليكلّمني حتّى أنّ بعض ريقه ليصيبني . ثمّ نزل برسول الله (ص)[2] .

وقد أنكر ابن عباس ادّعاء عائشة كما تقدم ، كما أنّ المنحرفين عن الإمام كانوا يحدّثون الناس بأنّ النّبيّ مات على صدر عليّ ، فقد أخرج ابن سعد عن الشعبي قال توفّي رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي وغسله عليّ

---

(١) صحيح البخاري ٢/٤ ، سنن ابن ماجه ٩٠١/٢، وسيلة العباد ٢٢٠/٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٦٣/٢ .

والفضل محتضنه وأسامة يناوله الماء[1].

وأخرج الحاكم في المستدرك عن أُمّ سلمة ، قالت :

والذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول : جاء عليّ جاء عليّ مراراً فقالت فاطمة (رضي الله عنها) :

كأنّك بعثته في حاجة قالت : فجاء بعد قالت أُمّ سلمة فظننت أنّ له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه رسول الله (ص) وجعل يساره ويناجيه ثمّ قبض رسول الله (ص) من يومه ذلك فكان عليّ أقرب الناس عهداً .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الأسناد ولم يخرجاه[2].

ولا يخفى على القارىء العزيز أنّ كل ما كان للإمام مع النّبيّ (ص) نلاحظ أنّ عائشة ترويه لنفسها وذلك من أجل أن تتقرب إلى قلوب الناس فهي تريد إخفاء ما اشتهر بين المسلمين وعلى لسان كبار الصحابة فهذا الخليفة الثاني كان يرى أنّ النّبيّ (ص) مات وهو على صدر الإمام .

كما أخرج ابن سعد عن جابر بن عبدالله الأنصاري إن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر : يا أمير المؤمنين ما كان آخر ما تكلّم به رسول الله (ص) ؟

فقال عمر : سل عليّاً ، قال : أين هو ؟ قال : هو هنا ، فسأله عليّ أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال : الصلاة ، الصلاة ، فقال

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/١٣٨-١٣٩ ، كنز العمال ٦/٤٠٠ ، مناقب ابن شهر آشوب ١/٢٣٦ نقلاً عن مسند أبي يعلى وفضائل أحمد .

(٢) مستدرك الحاكم ٣/١٣٨-١٣٩ ، قال الذهبي في تلخيصه صحيح كنز العمال ٦/٤٠٠ حديث ٦٠٩٦ ، مناقب ابن شهر آشوب ١/٢٣٦ نقلاً عن مسند أبي يعلى وفضائل أحمد .

كعب : كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون ، قال : من غسّله يا أمير المؤمنين ؟ قال : سل عليّاً ، قال : فسأله فقال : كنت أنا أغسّله[1] .

وروى ابن عدي وابن مردويه عن ابن عباس قال :

سمعت عليّاً يقول : قبض رسول الله (ص) وأنا مسنده إلى صدري فقال : يا عليّ ألَم تسمع قول الله : «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة» هم شيعتك[2] .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : جاء ملك الموت إلى النّبي (ص) في مرضه ورأسه في حجر عليّ فاستأذن فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[3] .

وأخرج ابن سعد أيضاً بسنده إلى الإمام علي بن الحسين أنّه قال : قبض رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي[4] .

وحسبك ما كان يخطب به الإمام (ع) على رؤوس الأشهاد ويقول :

«ولقدعلم المستحفظون من أصحاب رسول الله (ص) إنّي لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخّر فيها الأقدام نجدة أكرمني الله بها ولقد قبض وإنّ رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي ، ولقد وليت غسله والملائكة أعواني فضجّت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج»[5] .

وقوله (عليه السلام) لما دفن الزهراء في الخطبة ٢٠٢ من النهج :

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٦٢-٢٦٣ .
(٢) تفسير الميزان ٢٠/٣٤١، شواهد التنزيل ٢/٣٥٦ .
(٣) الخصائص الكبرى ٢/٢٧٣ .
(٤) طبقات ابن سعد ٢/٢٦٣ .
(٥) شرح النهج لعبد الحميد ١٠/١٧٩ الخطبة ١٩٠ وقعة صفين ص ٢٢٤ .

«ولقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك فإنّا لله وإنّا إليه راجعون» .

وقد اعترفت أُمّ المؤمنين بهذه الحقيقة عند استجابتها لصوت ضميرها ورجوعها إلى الحق بعد ما بذلت قصارى جهدها من أجل تحريف هذه الحقيقة ، أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه والهيثمي في مجمع الزوائد عن جميع بن عمير أنّ أُمّه وخالته دخلتا على عائشة فذكر الحديث إلى أن قال : قالتا فأخبرينا عن علي قالت عن أيّ شيء تسألن عن رجل وضع من رسول الله موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه واختلفوا في دفنه فقال أحب البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيه قالتا فلم خرجت عليه قالت أمر قضى وددت أن أفديه ما على الأرض مني شيء . قال رواه أبو يعلى[1] .

ومن هنا تعلم أيها القارىء الكريم كم كان ظلم هذه الأُمّة لعلي وأهل بيته حتى أرادوا أن يمحوا كل فضيلة خصّهم الله بها وخاصة أُمّ المؤمنين عائشة التي تظاهرت على رسول الله وكان النبي يتمنى موتها ليدفنها في حال حياته كما تقدم .

والحاصل أنّ النبي كان ينسب البيوت إليه وكذلك القرآن الكريم لأنّه المالك الحقيقي والحديث المشهور عند المسلمين وهو قوله (ص) : «ما بين بيتي وقبري (أو) ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» خير دليل على ذلك[2] .

---

(١) مجمع الزوائد ١٢/٩ ، مصنف ابن أبي شيبة ٧١/١٢ ، المحاسن والمساوىء ص ٢٩٨ . البداية والنهاية ٣٦١/٧ .

(٢) صحيح البخاري ٥٧/٢ ، مسلم ١٠١٠/٢ ، الجمع بين الصحيحين للحميدي حديث ١١٧ ، مشكل الآثار ٧٢/٤ ، طبقات ابن سعد ٢٥٠/١ وقد رواه أحمد والنسائي ، تاريخ بغداد ٢٢٨/١١ـ٢٩٠ ، إرشاد الساري ٤١٣/٤ ، وفاء الوفاء ٣٠٣/١ ، الغدير ١٨٨/٧ ، كشف الأستار عن زوائد البزاز ٥٦/٢ . مسند أبي يعلي ١١٠/١ مجمع الزوائد ٩/٤ فتح الباري ١١٠/٤ مسند أحمد ٦٤/٣ .

وإلّا لقال : ما بين قبري وحجرة أو بيت فلانة روضة من رياض الجنة ، وأمّا إضافة البيوت إلى نسائه فهي إضافة مجازية .

قال السمهودي : وقد أضيفت البيوت في القرآن الكريم مرة إليه ومرة إليهن ، والظاهر أنّ الإضافة الأولى هي الحقيقة كما تقدم من أنّ النّبيّ (ص) بناها ولأنّه كان يجب عليه إسكانهن غير أنّ لهنّ فيها بعده حق السكن لحبسهنّ لحقّه (ص)[1] .

وعليه فإن نسبة البيت للمرأة على سبيل المجاز والاستعارة لأجل سكناها فيه كما يقال بيت النملة ، وإن كانت النملة لا تملك بيتاً وقد نسب القرآن الكريم البيوت لهن حيث قال :

﴿يا أيها النّبيّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتّقوا الله ربّكم ولا تخرجوهنّ من بيوتهنّ ولا يخرجن إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة﴾[2] .

ومن المعلوم أنّ البيوت للأزواج فلو كانت للمطلّقات لما جاز إخراجهن سواءً أتين بفاحشة أم لا .

وأمّا قول أُمّ المؤمنين أنّ النّبيّ (ص) أعطاها الحجرة في حال حياته فليس بصحيح وإنّما كان لها حق السكنى فقط .

قال الطبري : قيل كان النّبيّ (ص) ملّك كلاًّ من أزواجه البيت الذي هي فيه تسكن بعده فيه بذلك التمليك .

وقيل : إنّما لم ينازعن في مساكنهن لأنّ ذلك من جملة مؤونتهن التي كان النّبيّ (ص) استثناها لهنّ مما كان بيده أيّام حياته حيث قال : ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة .

---

(١) وفاء الوفاء ٢/٤٦٤ .

(٢) سورة الطلاق : ١ .

قال الطبري : وهذا أرجح ويؤيّده أنّ ورثتهنّ لم يـرثوا عنهنّ منـازلهن ، ولو كانت البيـوت ملكاً لهن لـرجعت إلى ورثـتهن وفي ترك ورثتهن حقـوقهم منهـا دلالـة على ذلـك ولهـذا زيـدت بعـدهنّ في المسجـد لعمـوم نفعـه للمسلمين[١] انتهى .

وقـد روى ابن سعد مـا يؤيّد رأي الـطبـري من أنّ نسـاء النّبيّ لهنّ حق السكن لا غيـر ولم يملّكهن النّبيّ (ص) البيوت في حـال حياتـه ، فلمّا مـاتت زينب بنت خزيمة أعطى حجرتها لأمّ سلمة[٢].

فلو كانت ملكاً لانتقلت إلى ورثتها ، قال ابن حجر في فتح الباري :

استـدل باستيـذان عمر لهـا على أنّها كـانت تملك البيت وفيـه نـظر بـل الواقع أنّهـا كانت تملك منفعتـه بالسكن فيـه والإسكان لا يـورث وحكم أزواج النّبيّ كالمعتدات لأنّهن لا يتزوجن بعده ، وقال ويؤيّده (يعني عدم الملك) أنّ ورثتهن لم يـرثن عنهن منـازلهن ولـو كـانت البيـوت ملكـاً لهن لانتقلت إلى ورثتهن وفي تـرك ورثتهن حقوقهم دلالـة على ذلك ولهـذا زيدت بيـوتهن في المسجد النبوي بعد موتهن لعمـوم نفعه للمسلمين كمـا فعل فيمـا يصرف لهن من النفقات .

وقـال العيني في عمدة القـاري ج ١٥/٢٩ في حديث عـائشة (لمـا ثقل رسول الله استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي): أسندت البيت إلى نفسها ووجـه ذلـك أن سكنى أزواج النبي (ص) في بيـوت النبي من الـخصـائص فـلمـا استحققن النفقـة لحبسهن استحققن السكنى مـا بقين فنبّـه البخـاري بسـوق أحـاديث هذا البـاب وهي سبعـة على أن بهـذه النسبـة تتحقق دوام استحقـاق سكناهن للبيوت ما بقين ، انتهى ، وهذا ما قاله القسطلاني في إرشـاد الساري أيضاً ج ٥/١٩٠ فراجع[٣].

(١) وفاء الوفاء ٢/٤٦٥، فتح الباري ٦/١٤٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨/١٦٤، وفاء الوفاء ٢/٤٦٤ .

(٣) راجـع مـا علقـه المرحـوم العـلامـة الأميني في غـديـره على المـوضـوع ٦/١٩٠-١٩١ .

قال ابن أبي الحديد الشافعي ، والذي تنطق بـه التواريـخ أنه لمـا خرج من قبـاء ودخل المـدينة وسكن منـزل أبي أيوب اختط المسجـد واختط حجـر نسائه وبناته وهذا يدل على أنه كان المالك للمـواضع وأمـا خروجهـا عن ملكه إلى الأزواج والبنات فمما لـم أقف عليه(١) .

وبعـد هذا العـرض كيف تعطى عـائشة حجـرة كاملة وهي لا تـرث منها على القـول به إلا شبـراً واحداً ، ومـع ذلـك فقـد بـاعتهـا من معـاويـة وأكلت ثمنها ، والعجب من أمّ المؤمنين حيث ادعت كما يـروي ابن سعد وابن زبـالة أنّهـا قالت : مـا زلت أضـع خمـاري وأتفضـل ثيـابي حتى دفن عمـر فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً(٢) .

قال صاحب مرآة الحرمين تعليقـاً على هذا الحديث :

فللّه هذه الآداب وتلك الأخلاق(٣) .

نعم إنّهـا أخلاق أمّ المؤمنين عـائشة إبنـة أبي بكر ومن أخـلاقها التي لا يضاهيها فيها أحد أنّ إحدى نساء النّبيّ (ص) جاءت بنجار فعلق ضبـه لها في الحائط وضرب المسمار عليها فجاءت عائشة وصاحت به وكلمته كلاماً شـديداً وقالت :

ألم تعلم أنّ حرمة رسول الله (ص) ميتاً كحرمته حيّـاً إنّك لتؤذي رسـول الله (ص)'(٤) .

فمـا أعـظم هـذه الآداب من أمّ المؤمنين فليتهـا لـم تجهـز جيشـاً جـراراً وتخرج أمام الـرجال وتخـطب وتحرض النـاس على حرب الـوصي فهي لم تر

---

(١) شرح النهج ١٧/٢١٧ .

(٢) وفاء الوفاء ٢/٥٤٤، الدرة الثمينـة في أخبار المـدينة ٣٩١، فتـح الباري ٧/٥٤ طبقات ابن سعد ٣/٣٦٥ .

(٣) مرآة الحرمين ٢/٤٧٣ .

(٤) وفاء الوفاء ٢/٧١٠، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص ٣٨٧ .

الآلاف من الرجال ولكنها تتستر من الأموات ، والأعجب من ذلك كلّه أن تتأذى من ضرب المسمار قرب حجرة رسول الله أمّا إدخالها عليه من لم يؤذن له بالدخول وضربها بالمعاول عنه رأسه الشريف لتدفن أباها وصاحبه فهذا أمر جميل في نظر أُمّ المؤمنين ونظر أشياعها .

إرث عائشة عند المتكلمين :

لقد تناول العلماء هذا الموضوع ونافشوه في كتبهم الكلامية وغيرها وممّن تناوله السيد المرتضى (قده) ولخصه الشيخ الطوسي بما نصّه :

قيل لهم : ليس يخلو موضع قبر النبي (ص) من أن يكون باقياً على ملكه أو انتقل في حياته إلى عائشة على ما ادّعوه فإن كان الأوّل لم يخلو أن يكون ميراثاً بعده (ص) أو صدقة فإن كان ميراثاً فما يحلّ لأبي بكر ولا لعمر من بعده أن يأمرا بدفنهما فيه إلّا بعد إرضاء الورثة الذين هم على مذهبنا فاطمة (ع) وجماعة الأزواج وعلى مذهبهم هؤلاء والعباس ولم نجد أحداً منهما خاطب أحداً من هذه الورثة على ابتياع هذا المكان ولا استنزاله عنه بثمن ولا غيره وإن كان صدقة فقد كان يجب أن يرضى عنه جماعة المسلمين ويبتعاه منهم هذا إذا جاز الابتياع لما يجري هذا المجرى وإن كان انتقل في حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله والحجة فيه ، فإنّ فاطمة (ع) لم يقنع منها في انتقال فدك إلى ملكها بقولها ولا بشهادة من شهد لها[1] .

إرثها على مشرب أهل البيت :

وأمّا على مسلك أهل البيت وشيعتهم فإنّ عائشة لا ترث من الحجرة شيئاً وذلك لأنّ المرأة لا ترث من العقار بإجماع أصحاب هذه المدرسة ، فعن أبي عبدالله (ع) قال : إنّ للنساء قيمة الطوب والبناء والخشب والقصب فأمّا الأرض والعقارات فلا ميراث لهنّ فيه[2] .

---

(١) تلخيص الشافي ١٩٦/٣ .

(٢) وسائل الشيعة ٥١٨/١٧ ، الكافي ١٣٠/٧ ، التهذيب ٢٩٩/٩ ، من لا يحضره الفقيه ٢٥١/٤ ، علل الشرايع ٢٥٨/٢ .

وهـذه المسألـة ليست مما تفـرد بهـا الشيعـة وإنّمـا هي مـذهب عـامـة المسلمين إلاّ أنّ عـداوة الحكام لأهـل البيت منذ فجـر الإسـلام حملتهم على مخالفتهم في كل شيء وهذه المسألـة عميقة الجـذور في المذاهب الإسـلامية التي أنشأت لأغراض سياسية .

والمسائل الخلافية كثيـرة في الفقه تحتـاج إلى كتاب مستقـل ولمسألتنـا هذه نظائر كثيرة في الفقه الإسلامي .

فالبسملة مثلاً هي من أعظم الآيات في القرآن الكريم والثابت عن الإمام علي (ع) أنّه كان يبالغ بالجهر بها في الصلاة ، فلمّا كان زمن بني أُميّـة بالغـوا في المنع منها سعياً في إبطال آثـار عليّ (ع) ثمّ جعلوا لها أحـاديث وأسندوهـا إلى الـرّسول (ص) في عـدم قراءتـه لهـا في الصـلاة مـع أنّـه وردت أحـاديث صحيحة تعارضها تفيد بأنّ النّبيّ (ص) كان يجهر بها وأبو بكر وعمر[1] .

نعم لقد عمد الحكام الخونة إلى أوّل وأعظم آية في كتاب الله فحرّفوهـا عن مقامها وأخرجوها من الصلاة بغضـاً لعلي لأنّه كـان يبالـغ بالجهـر بها وقـد وجد هؤلاء الحكام في علماء السوء من وعاظ السلاطين الـذين كانـوا يقتاتـون على موائدهم خير معين لهم حيث وضعوا لهم أحاديث نسبوهـا إلى رسول الله من أنّه كان يصلّي ولا يقرأ البسملة وقد اتبعهم كثير من العلماء ثقة بهؤلاء حتى أصبحت البسملة غير واجبة في الصـلاة عند غـالب المذاهب الإسـلامية ونحن إذا سبّرنا غور المسائـل الخلافيـة نجد أنّ غـالب هذه الاختـلافات نشـأت من تحريف الأمويين والحكام الّذين كانوا يحكمون الناس باسم الإسلام وبـالنيابـة عن رسول الله فتسمّوا بخلفائه وبـأمراء المؤمنين وهم أبعـد الناس عن تعـاليمه وتعاليم العترة وقد نقلنا في أوّل هذا الكتاب صوراً حيةً عن الموالين للأمويين الـذين كانـوا من حملة عرشهم فقـد ضـجّ هؤلاء من التحـريف العـظيم الّـذي أصاب الإسلام على يد الخلفاء والحكام .

---

(١) تفسير النيشابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري ١/٧٩-١٢١ روى السهمي في تاريخ جرجان أن عمر كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ص ٦١ .

ومسألة إرث الزوجة من الأرض من هذا القبيل فقد حرم الإسلام الزوجة منها وهذه المسألة مجمع عليها عند أهل البيت وهي من خصائص مدرستهم ، والسلطات الحاكمة وإن كانت لاتزال جادة في إطفاء هذا النور منذ فجر الإسلام حتى يومنا هذا لأنّ مدرسة أهل البيت هي المعارض الوحيد لهذه الحكومات الظالمة مع ذلك فقد بقي لهذه الحقيقة بصيص من الوجود عبر التاريخ الذي دُوِّن على وفق الرقابة التي لا تزال حتى اليوم تراقب المصادر التي تطبع وتعمد إلى تحريفها في غالب الحالات .

فقد جاء في كتاب شرح النهج لابن أبي الحديد الشافعي أنّ رجلاً جاء إلى سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي يطلب ميراثاً من بعض نساء الخلفاء فقال سليمان :

ما أخال النساء يرثن من العقار فقال عمر بن عبد العزيز :

سبحان الله وأين كتاب الله فقال سليمان : يا غلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك الذي كتب في ذلك[1] .

فهذه المسألة قد كتب فيها كتاب كما يظهر من العبارة ، وكانت محفوظة عند ملوك الأمويين الّذين هم ألدّ أعداء أهل البيت في الجاهلية والإسلام إلّا أنّ السياسة عبر التاريخ جعلت هذه المسألة في خبر كان في فقه العامّة أخذاً بما خالفهم .

وعليه فإنّ عائشة لا تملك شيئاً وإنّما تصرفت في الحجرة على خلاف كتاب الله وبلا إذن من أهلها فكان تصرّفها ظلماً وعدواناً .

ويكفي أنّ عبد الرحمن لم يقبل أن يدفن فيها لمّا أرسلت إليه عائشة وطلبت منه أن يدفن مع أصحابه وعائشة نفسها لم توص بالدفن فيها ولعلّها ندمت عند موتها على ما فعلت فوصت أن تدفن في البقيع لأنّها أحدثت أحداثاً كثيرة بعد رسول الله (ص) كما جاء على لسانها .

---

(١) شرح النهج ١٨/١٤٤ .

محاورة ظريفة :

وفي نهاية المطاف ولتعميم الفائدة أرى من المناسب أن أنقل للقارىء الكريم المحاورة الّتي جرت بين أبي حنيفة وفضال بن الحسين بن فضال الكوفي على ما نقلها الشيخ قطب الدين أبو الحسن سعد بن هبة الله الراوندي المتوفّى في سنة (٥٧٣) في كتابه (الخرايج والجرايح) ، قال :

لما أراد الحسين (ع) أن يدفن الحسن (ع) عند جدّه أتى مروان بن الحكم ومن معه من بني أميّة وقال :

أيدفن عثمان أقصى المدينة ويدفن الحسن (ع) مع النّبي لا يكون ذلك أبداً ولحقت عائشة على بغل وهي تقول :

مالي ولكم أتريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب فقال ابن عباس لمروان :

إنصرفوا لا نريد دفن صاحبنا فإنّه كان أعلم وأعرف بحرمة جده رسول الله (ص) من غير أن يطرق عليه هجماً كما طرق عليه غيره هجماً بيته بغير إذنه إنصرف ونحن ندفنه بالبقيع كما وصّى ثم قال لعائشة :

واسوأتاه يوماً على جمل ويوماً على بغل ،وفي رواية يوماً تجمّلت ويوماً تبغّلت وإن عشت تفيلت فأخذه الشاعر الحسين بن الحجاج البغدادي فقال :

يا بنت أبي بكر — لا كان ولا كنتي
لك التسع من الثمن — وبالكل تحكّمتي
تجمّلتي تبغّلتي — وإن عشتي تفيّلتي

قال الراوندي :

بيان قوله لك التسع من الثمن إنّما كان في مناظرة فضال بن الحسين بن فضال الكوفي مع أبي حنيفة فقال له فضال : قول الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم﴾ منسوخ أو غير منسوخ قال :

غير منسوخ .

قال : ما تقول في خير الناس بعد رسول الله أبو بكر أو علي بن أبي طالب (ع) ؟ .

فقال : أما علمت أنّهما ضجيعا رسول الله في قبره فأيّ حجة تريد أوضح من هذه في فضلهما .

فقال له فضال : لقد ظلما إذا أوصيا بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق وإن كان الموضع لهما ووهباه من رسول الله لقد ساء إذا رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما ، وقد أقررت أنّ قوله تعالى :

﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم﴾ غير منسوخ فأطرق ثم قال :

لم يكن له ولا لهما خاصة لكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما فقال له فضال :

أنت تعلم أنّ النبي (ص) مات عن تسع حشايا وكان لهن الثمن لمكان فاطمة فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر والحجرة كذا وكذا طولاً وعرضاً فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك .

وبعد فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله (ص) وفاطمة بنته لا ترثه ومنعت الميراث فالمناقضة ظاهرة في ذلك من وجوه كثيرة فقال أبو حنيفة نحّوه عني فإنّه رافضي خبيث[1] .

نعم هكذا كانت سيرة المخالفين حين لا يجدون جواباً يتهمون الآخرين بالرفض وهكذا كانت سياسة القوم حيث منعوا بضعة الرسول من جميع حقوقها الشرعية والإجتماعية حتى ماتت حزناً وأساً .

---

(١) الخرايج والجرايح ص ٢٤، بحار الأنوار ج ١٥٥/٤٤، بحر المعارف ص ١٤٤ .

وهكـذا اتضح للقـارىء الكريم من خـلال هذه الـدراسة أنّ النّبيّ (ص) دفن في حجرة الزهراء وأنّ عائشـة لا ترث شيئـاً من الحجرة ولا يحق لهـا دفن أيّ شخص فيها وأنّ كل ما حصل هو على خلاف كتاب الله وسنّة رسوله .

«فإنّا لله وإنـا إليه راجعـون ، وسيعلم الذين ظلمـوا (حق آل محمد) أيّ منقلب ينقلبون» .

قم في ١٦/ ربيع الأول/ ١٤٠١ هـ. ق

جريدة المصادر

أحكام القرآن

الإرشاد للمفيد

أمالي الصدوق

الأمّ للشافعي

أحسن التقاسيم للمقدسي

الأوائل لأبي هلال العسكري

أسد الغابة

الأغاني

أنساب الأشراف

أعلام النساء

الأموال لأبي عبيد

الإمام علي

تاريخ المدينة لابن شبه

الإيضاح

الإصابة في معرفة الصحابة

الإمامة والسياسة

تاريخ أبي الفداء

تاريخ الكامل

تاريخ الطبري

تاريخ اليعقوبي

تهذيب التهذيب

التهذيب

التاريخ الصغير للبخاري

تاريخ الذهبي

تاريخ ابن عساكر

تاريخ ابن كثير

تاريخ الخميس

تاريخ بغداد

تاريخ ابن شحنة

تفسير الرازي

تفسير ابن كثير

البدء والتاريخ
بحار الأنوار
بلاغات النساء
تفسير روح المعاني
تفسير النيسابوري
تلخيص الشافي
تهذيب الكلام ـ مخطوط
جامع بيان العلم
الخرايج والجرايح
الجمع بين الصحيحين للحميدي
حلية الأولياء
الخصائص الكبرى
الدرة الثمينة في أخبار المدينة
ذخائر العقبى
الرياض النضرة
رحلة ابن بطوطة
رحلة ابن جبير
رياض الشريعة
الرحلة في طلب الحديث
سنن أبي داوود
سنن ابن ماجه
سنن البيهقي
سير أعلام النبلاء
سيرة ابن هشام
السيرة الحلبية
سنن الدارقطني
تفسير الطبري
تفسير الميزان
تفسير الكاشف
شرح النهج لعبد الحميد المعتزلي
شرح الأبي على صحيح مسلم
شواهد التنزيل
صحيح البخاري
صحيح مسلم
الصواعق المحرقة
ضحى الإسلام
طبقات ابن سعد
عبدالله بن سبأ للعسكري
علل الشرايع
عمدة القــارىء
عقد الدرر
العقد الفريد
عائشة والسياسة
الغدير
الفصول المهمة
الفاروق عمر
فتح الباري
الفضائل الخمسة
فتوح البلدان
فتوح أعثم
القرآن الكريم
الكافي

سنن الترمذي
كنز العمال
كفاية الطالب
لسان الميزان
مقاتل الطالبيين
مصنف عبد الرزق
مسند أحمد
مسند علي بن الجعد
مسند أبي يعلي الموصلي
مجمع الزوائد
المحلّى لابن حزم
الموطأ
مستدرك الحاكم
ميزان الإعتدال
مشكل الآثار
المعجم الكبير للطبراني
الملل والنحل
مرآة الحرمين
المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي
كشف الغمة
منصف ابن أبي شيبة
مناقب الخوارزمي
مروج الذهب
مرآة العقول
من لا يحضره الفقيه
مسند الحميدي
مناقب ابن شهر آشوب
الموفقيات للزبير بن بكار
المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي
المعارف لابن قتيبة
نهاية الإرب
نهج البلاغة
وفاء الوفاء
الوفاء بأحوال المصطفى
وسائل الشيعة
وسيلة العباد

الفهرست الإجمالي